قلب جوز

رحلة للخروج من قبور الذين

محمد الغليظ

محمد الغليظ

قلب عجوز

رحلة للخروج من فتور التدين

BOOKS

بداية
للنشر والتوزيع

الساعة ٧:٣٠ في محطة القطار..

أفففففف أشعر بالملل، وجوه الناس كئيبة وحركاتهم رتيبة..

أمير ينظر لمَن بجواره، ويسأله: لو سمحت كم الساعة؟

الرجل بتجهم شديد: الساعة فوق رأسك، أما تبصرها؟!

ابتسم أمير في وجه الرجل كاظمًا غيظه، ثم قال: شكرًا، ولكن الرجل قد استدار ولم يسمعه.

ينظر أمير إلى قط صغير يلعب بشيء يتدلى من سلة المهملات.. ثم أتبعه بنظره بعدما انطلق القط يجري بين الناس في زحام محطة القطار.

وإذا به يضحك من فزع امرأة عجوز بعدما اصطدم بها القط الصغير فأربكها..

كان لافتًا لنظر أمير كِبَرُ سِنِّها، فأخذ أمير يحدِّث نفسه وهو ينظر إليها:

آه يا أمير.. أتظن أنك أكبر أم هي؟ ثم تبسَّم ابتسامةً صفراء.. وقال: أرى أنني أشبهها كثيرًا، ليس جسدي الذي يشبهها بل قلبي..

ما الذي حدث لك يا أمير؟!

أتذكُر حماسَك في بداية توبتك ورجوعك إلى الله؟!

أتذكر انطلاقك وفرحتك بالطاعة وتحسينك لها؟!

ما الذي أصابك؟!

انظر إلى خطواتها الضعيفة المتقاربة، أصبحْتَ تخطو مثلها في طريق الله بعد الحماس والقوة..

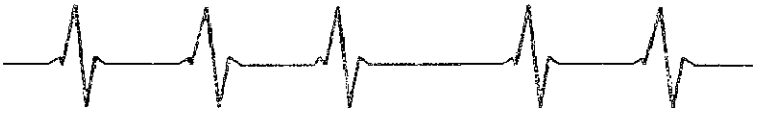

انظر إلى انحناء ظهرها ورأسها، هذا انكسارك بذنوبك بعد عزٍّ دامَ في طاعة الله.

انظر إلى بياض شعر حاجبيها وانكماش جلدها، هذه معالم شيخوخة تَدَيُّنك التي تعيش فيها.

لقد عاشت عشرات السنين حتى أصبحتْ عجوزًا على هذه الحال بجسدها،

أما أنت فقد أصبح قلبك في سنوات معدودة (قلب عجوز).

استفاق أمير والمرأة العجوز واقفةٌ أمامه تكلّمه بصوت ضعيف مبحوح:

«قم يا بني واجلسني فإني متعبة»..

كاد أمير أن يقوم قبل أن يهجم عليه جاره المتجهم، رافعًا صوته:

«قم يا حضرة، أما تبصرها وحالها؟! أما تشعر أنها أحق بالمكان منك؟!..... يا خسارة الشباب».

قام أمير من مكانه مسرعًا فزعًا من صياح الرجل: «تفضلي، تفضلي يا أمي، أنا أصلاً كنت سأقوم لأن قطاري وصل».

ذهب أمير وأخذ يردد في طريقه إلى القطار كلمات الرجل..

(أما تبصرها وحالها)، (يا خسارة الشباب)، (قم)، (هي أحق بالمكان منك).

ثم قال بصوت يسمعه هو وحده:

«لا بدَّ أن أقوم، لابد أن أُبصر، حقًا هذا ليس مكاني ولن أخسر شبابي».

وضع أمير قدمه الأولى على عتبة القطار، والتفت إلى العجوز، وقال مبتسما: **«شكرًا أيها العجوز، بل وشكرًا يا جاري المتجهم..**

بسببكما سأبدأ الرحلة

الحمد لله الذي هَدَى بقدرته، واختار مَن هداهم بحكمته، وأجزل لهم العطاء بكرمه، وغفر لهم تقصيرهم برحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، قوي ولي الصالحين بتدبيره ونصرته، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسوله، وهو سيدُ ولد آدم باجتبائه وعلمه وعبادته، أما بعد...

BOOKS

فإن أصدقَ الكلام كلامُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمد ﷺ، فمن اعتصم بهما نجا، ومن أعرض عنهما هلك، فعنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: (تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ)[١].

وإن الله خلق الإنسانَ في هذه الدنيا مُختبَرًا ليصل إليه ويجاوره في جنته،

فدبَّر له دنياه في الليل والنهار، وأرسل إليه دينَه وجعله في اختبار، وللاختبار مصاعبُه ومتاعبُه،

وقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ ﴾[٢].

BOOKS

[١] رواه مسلم

[٢] الانشقاق: ٦

فأما المصاعب فهي كالأسئلة موضوعة ليتباين المختبَرون، فالله ﷻ هو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[١].

وأما المتاعب فهي تابعة لمَن تيقَّظ في مصاعب الاختبار، ولمَن غفل عنها أيضًا، فإنها طبيعة الدنيا ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ﴾[٢].

ومصاعب الدنيا - أقصد أسئلة الاختبار - تتباين في جهة وطريقة عرضها، فقد يكون الاختبار في مقاومة الهوى والطبع الداخلي، وقد تكون المقاومة لشخص أو لعامل خارجي، وقد يكون طبيعته ألا تفعل شيئًا، وقد يكون أمرًا بفعل شيء، والمختبَرون متباينون في ذلك، وبحسب تباينهم يُحدَّد مستواهم ودرجاتهم.

BOOKS

[١] الملك: ٢

[٢] النساء: ١٠٤

وحال دين الإنسان، وإن شئتَ فقلْ مستواه في الاختبار يُوصف بالقوة والضعف بحسب أربعة أمور:

- **قدْر ما يحتل الدينُ من حياته.**
- **قدْر الالتزام في حياته بأحكامه.**
- **سرعة الإقبال على أمره، وادباره عن نهيه.**
- **قدْرته على العودة وسرعته في الإنابة بعد مخالفته.**

فمن أدرك اختياره، وقرأ سؤاله، وعلم جوابه، ورزقه الله العزم على حله، فامتثل لله بتوفيقه، انحلت عقدته، وانفك منها إلى غيرها، فاقتحمها عَقَبةً عَقَبة حتى يصل إلى جنة الخلد، وقد قال الله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾﴾[1].

[1] البلد: ١١-١٨

أخي وأختي في الله .. إن غالب الناس يمرون في حياتهم بثلاثة أطوار عمرية:

طفولة وشباب وشيخوخة.

فأما الطفولةُ فضعفٌ وجهل مع حب للحياة، يدفع إلى الحفظ والتعلُم والتجربة، فتجد ذلك في الأطفال ظاهرًا في دوام حفظ جميع الكلمات وترديدها، والأماكن والإشارة إليها، وتعلُم الرسم والكتابة والمحاولات اللانهائية في كل شيء حتى قبل أوانها كالمشي والنطق مثلاً.

وأما الشباب فقوة وعزم وعلم مُكتسب، مع حبٍّ للإنجاز وصعود الطموح، مما يدفع لدوام الحركة نحو الأهداف، ودوام الخوف من تضييعها.

وأما الشيخوخة فعودة إلى الضعف والنسيان وبطء الحركة والتلعثم في الكلام والتخبط في الآراء، وكل ذلك مع موت الطموح والإبقاء على مجرد البقاء.

وقد قال الله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾[1].

وهذه المراحل الثلاث قد يمر بها المسلم في تدينه، وقد يمر على بعضها، وتُحدِّد المرحلة التي يعيشها في دينه وإيمانه بمستوى أدائه للتكاليف في المرحلة، ولا علاقة بين عُمر المسلم وبين مرحلة إيمانه فقد ترى الشيخ الكبير وهو شاب في تدينه، مُقبلٌ على طاعة الله بحماس، وقد ترى الشاب الصغير وقد شاخ إيمانه فلا يقْوى على الحركة، ولا يظفر بحسن عبادة.

---

[١] الروم: ٥٤

* المرحلة الأولى هي الطفولة:

وهي مرحلة البدايات، بداية التوبة، وبداية العلم، وبداية الصلاة، وبداية الحجاب للفتيات،

فيكون العبد متحمسًا فيها، مبتسمًا لها، مقبلاً عليها، فيمتثل لأوامر دينه بفرحة وسرور، وكلما جرَّب شيئًا أحبَّه، وكلما عمل شيئًا أحسنه، وكلما استيقظ في يوم جديد رآه يحوي فرصًا لا نهائية من الأعمال الصالحة التي فاتته في عمره السابق لولادة تدينه.

ولا شكَّ أن كل مَن سلك الطريقَ إلى الله مرَّ بهذه المرحلة، ولكنها على جمالها قصيرة، وينتقل العبد منها إلى ما بعدها بحسب طريقته فيها،

فإن كانت نشأته صحيحة وبدايته مُحرِقة، كانت خطواته قوية ونهايته مُشرِقة، فينتقل منها إلى ما بعدها من الشباب والقوة،

وإن وُلد تدينه ضعيفًا عاجزًا مُعرِضًا عن العلم شديدَ الاستسلام لنفسه وللآخرين فيما يخالف دينه، بطيء التغيير، قليل الطموح، فستجده إن لم يتداركه الله برحمته ويغيّر حاله سيعاني طوال عمره الإيماني من العجز وضعف الاستقامة،

وكأنه من ذوي الاحتياجات الخاصة،

ولكن في الطريق إلى الله.

ONE PIECE
BOOKS

* المرحلة الثانية هي الشباب:

وهي مرحلة عزم الترقّي في العلوم والعبادات والمعاملات،

وصاحبُ هذه المرحلة شجاعٌ في قراراته، ومبادر في تغيير حياته، قوي في نُصح غيره، حَذِر من سقوطه لأنه بالفعل قد بنى - بفضل الله - تدينَه فأحْسَنَه، وعَرَفَ كُلْفته فحصَّنه، فهو في جُملة حياته يعيش الدنيا كأنها طريق لبيته في الجنة، فانشغل بسيره، ولم ينشغل بغيره.

وهذا قد وصل لذروة الاختبار، وعليه أن يَجِدَّ في السير، ويبادر في الخيرات،

ويستكثرمن الخطوات، ويحذر من السقطات، وليعلمْ أن النجاح إنْ كان صعبًا فالحفاظ عليه أصعب، وكم من رجلٍ أحسنَ عملاً مرةً أو مرتين، وعلا ذكرُه، ثم انطفأ نجمُه لعدم قدرته على الثبات واستمرار النجاحات،

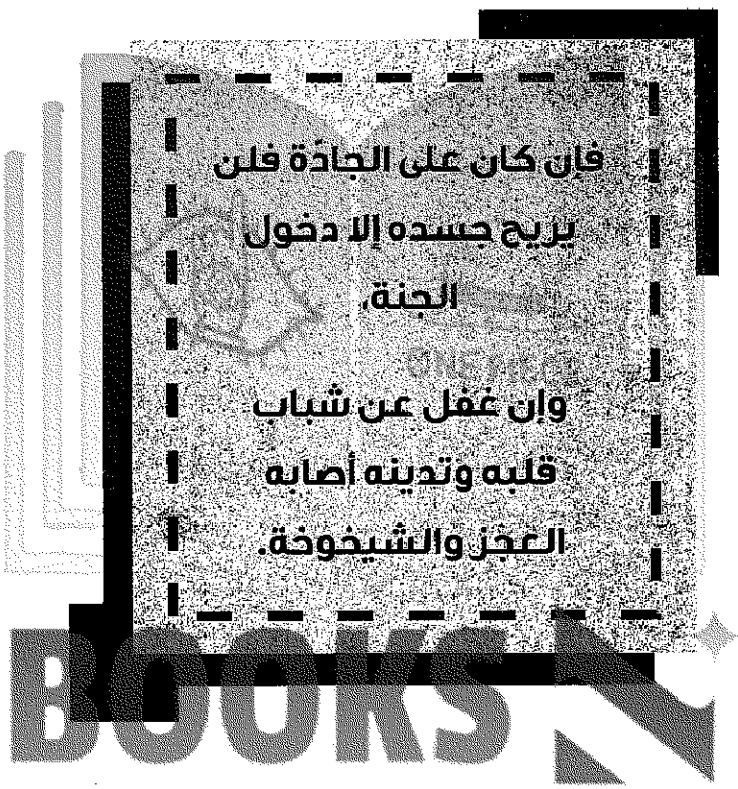

* المرحلة الثالثة هي مرحلة الشيخوخة:

وهي مرحلة ما قبل الموت، أو ما قبل العلاج، على حسب سلوك صاحب المرحلة،

وفيها يغفل القلب، ويضعف السير، ويُستثقل العمل، وتتقارب الخطى إن وُجدت، ولا يُكترث بفعل المخالفات بل تُؤْلف، ويضعف طلبه للعلاج أو يُترك، ويذهب طموح الترقي ويبقى الرضا بالحال، ويصبح قلبه كامرأة عجوز طاعنة في السن فقدت ذاكرتها فلا تذكر ما تبكي على فقده، وضاع جمال شبابها فذهبت نضارة ظاهرها وهُدم نشاطها فلا تكاد تتحرك، ويدخل صاحب هذا القلب في نفق الفتور بمصير مجهول، لا يحدده إلا هو[1].

[1] ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(الإنسان: ٣٠)

وهنا أسئلة مهمة

أي الأنواع أنت؟ وما ينبغي فعله

هل أنت في مرحلة البدايات؟

.....

.....

.....

ما الدليل على صحة إجابتك؟

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

وهل بدايتك كانت صحيحة؟

.....

.....

اكتب توصياتك

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

اجعل لنفسك توصيات قبل إكمال الكتاب:

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

BOOKS

هل أنت في مرحلة الشباب؟
ما الدليل على صحة إجابتك؟
اكتب توصياتك
هل أنت في شيخوخة؟
ما الدليل على صحة إجابتك؟
اكتب توصياتك

الفتور أن تجد قلبَك بارد المشاعر تجاه الطاعة التي كنت تحترق شوقًا لها..

الفتور أن تجد جسدك متثاقلاً عن فعل ما كنت مسارعًا فيه وداعيًا إليه..

الفتور أن تترك عتاب نفسك في اقتراف المخالفات بعد أن كنت تعاتبها على التقصير في الإحسان..

الفتور سكونٌ بعد حدة، ولين بعد شدة، وكسل وتراخي بعد جد ونشاط..

ولو أحببت أن أمثِّل لك مثلاً:

١- أن تجد من نفسك نشاطًا في حفظ القرآن بعد سماع قول النبي ﷺ:

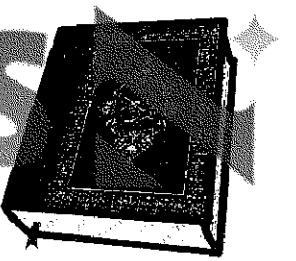

(إنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ)[1]

فتجدُ في بداية الالتزام بحلقة التعلم والحفظ ثم بعد عدة حلقات يهجم الفتور على القلب، فإذا استسلم العبد له، بدأ في التكاسل عن الحفظ، فبعد أن كان يحفظ بمجرد رجوعه من الحلقة صار يحفظ قبل ذهابه لها وفي آخر وقت، ثم إن الحلقة أصبحت ثقيلة على قلبه، فما تمر بضع دقائق منها إلا ويشعر بالملل ويبدأ في الالتفات إلى الساعة، ثم إنه يبدأ في الانتباه لعيوب الحلقة في الموعد والمكان والمحفِّظ وغير ذلك، ثم تراوده نفسه على الغياب عنها مرة، لا لأنه ملَّ من القرآن ولا كسلاً - فيكذب على نفسه - ولكن لأنه طرأ عليه موعد مهم لا ينبغي تأخيره، ثم يعتاد الغياب ويتوقف عن الحفظ.

BOOKS

[1] رواه أبو داود وابن ماجه، وصححه الألباني

٢- أو أن تجدي من نفسك حماسًا لارتداء أكمل الحجاب بعد سماع قوله تعالى:

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[١]

فتختارين لنفسك ما ارتدته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقد غطّت جميع بدنها ووجهها، وقد جاء في حديث الإفك قولها رضي الله عنها عن صفوان بن المعطّل رضي الله عنه حين رآها فقالت (فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ)[٢] أي أنه بعد الحجاب لم يعد يراها لأن حجابها كان على وجهها أيضًا وإلا لما علّقت إمكانية معرفتها على رؤيته لها قبل الحجاب، فتتحمسين وترتدينه ملتزمةً بكل تفاصيله وآدابه، من عدم اتساع فتحة العينين

BOOKS

[١] النور: ٣١.

[٢] رواه البخاري

وارتداء القفازين مع طول الأكمام وضيقها عند الرُسْغ، واختيار الجلباب الفضفاض، مع خفض الصوت والتزام الحياء الدائم والخلق الكريم، فإذا جاء الفتور فضرب القلبَ واستسلمتِ له، بدأ الثوب يضيق شيئًا فشيئًا، وليس ذلك إلا لتظهر المسلمة بشكل جميل فتحب غيرُها حجابَها -فتكذب على نفسها أيضًا-، ثم تخلع القفازين لأنهما يعيقانها عن سهولة التعامل مع المال والورق الدراسي أو في العمل، ثم تتسع فتحة العين فيظهر جزء أكبر من الوجه وليس ذلك إلا لراحتها كي تكون ملتزمة أكثر ولتيسِّر على نفسها الطاعة، ثم إن حياءها حجز عنها خيرًا هي تمنته فقررت أن تتنازل عن بعض مظاهره، لا لقلة حيائها ولكن لجلب الخير لها كما تزعم، ثم يختلف سلوكها فلا تصلح الصحبة القديمة فتتغير الصحبة وتتغير الأماكن المتداولة، فتصبح مسخًا، مظهرها حجاب أم المؤمنين مُشوه وباطنها قلب أم المُعرضين مُخلص، وإما أن ترضى بالعيش في هذا التناقض، أو نصبح يومًا فنجدها قد خلعت حجابها أو شيئًا منه.

٣- ومثل ذلك أيضا من تاب من ذنب معتقدًا حرمته، مشمئزًا من سماع سيرته،

فإذا ضرب الفتورُ قلبَه، واستسلم له، أَلِف من يقيم عليه فإذا بالألفة تنتقل للذنب نفسه فيتوقف عن إنكاره باللسان والقلب، ثم يذكره ويتذكره، ثم يتمناه، ثم يفعله.

واعلم أن هذا الفتور مُرَكَّب في الإنسان دون الملائكة.

فإن الله ﷻ اختبرنا ولم يختبرهم، فقد قال الله تعالى عنهم: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]، ومع ذلك فهو غير ممتدَح شرعًا، بل الممتدح هو خلافه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سُئل النبي ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: ((أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ))[2].

[١] الأنبياء: ٢٠

[٢] رواه البخاري

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وفي كلٍّ خَيرٍ)[١]،

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ»

«والمراد بالقوة هنا: عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها، ونحو ذلك»[٢].

والإنسان مهما بلغ من درجات الإيمان فإنه يصاب بقدر من الفتور في حياته لا محالة،

[١] رواه مسلم

[٢] شرح صحيح مسلم للإمام النووي

وقد قال رسول الله ﷺ: (لِكُلِّ عملٍ شِرَّةٌ، ولِكُلِّ شِرَّةٍ فَترةٌ، فمن كانَت فَترتُهُ إلى سنَّتي، فَقد أفلحَ، ومَن كانت إلى غيرِ ذلِكَ فقد هلَكَ)[1]، فالعمل لا يخرج إلا من عامل، وبما أن لكل عمل فَتْرة فهذا الفتور يصيب العمل والعامل بالتبعية.

واعلم أنه لو نجا أحدٌ من هذا الفتور، لنجا منه الصحابة رضي الله عنهم

وهم خير جيل ربَّاهم خيرُ البشر، ولكنهم قد وجدوه في أنفسهم، فعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه قال: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟

قَالَ: قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ.

قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟!

قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا.

---

[1] رواه أحمد، وصححه الألباني

قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا،

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَمَا ذَاكَ؟!)

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ؛ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ؛ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً) ثَلاثَ مَرَّاتٍ[١].

ONE PIECE
BOOKS

[١] رواه مسلم

إن سنة الله في الكون هي التدرج، فما من طبع أو سلوك إلا وله درجات ودركات،

وقد وصف الإمام ابن القيم رحمه الله هذا التدرج في الفتور، فقال: «فإن قلتَ: كل مُجِدّ في طلب شيء لا بد أن يَعْرِض له وقفة وفتور ثم ينهض إلى طلبه؟! قلتُ: لا بد من ذلك ولكن صاحب الوقفة له حالان: إما أن يقف ليجمّ[1] نفسه ويُعدُّها للسير، فهذا وقفته سير ولا تضره الوقفة، فإن لكل عمل شِرّة ولكل شِرّة فَترة، وإما أن يقف لداعٍ دعاه من ورائه وجاذبٍ جذبه من خلفه فإن أجابه

---

[1] جمّ الرجل أي: استراح فعادت إليه قوّته

أخّره ولا بد، فإن تداركه الله برحمته وأطْلعه على سبْقِ الركب له وعلى تأخره نهضَ نهضة الغضبان الآسِف على الانقطاع ووثب وجمز[1] واشتد سعيًا ليلحق الركْب، وإن استمر مع داعي التأخر وأصغى إليه لم يرضَ برده إلى حالته الأولى من الغفلة وإجابة داعي الهوى حتى يردَّه إلى أسوأ منها وأنزلَ دركًا؛ وهو بمنزلة النكسة الشديدة عُقيب الإبلال من المرض فإنها أخطر منه وأصعب. وبالجملة: فإن تداركَ الله سبحانه وتعالى هذا العبدَ بجذبة منه من يد عدوه وتخليصه وإلا فهو في تأخر إلى الممات راجع القَهْقَرى ناكص على عقبيه أو مُولٍ ظهرَه ولا قوة إلا بالله، والمعصوم مَن عصمه الله»[2].

[1] جمز أي: أسرع

[2] مدارج السالكين لابن القيم

وبالمشاهدة، فإن أظهر درجات الفتور خمسة:

١) فتور المحبة:

وهذا القسم لا يُذم صاحبه، بل غاية ما في الأمر أنه اجتهد في موسم طاعة أو فُتح عليه في باب من أبواب الخير فأطلق نفسَه مهرولاً إلى ربه، محسنًا في عمله، صابرًا على ألمه وجِده، فلما انقضى موسم الخير أو أنجز مهمته، فَتَرَ ليستريح من جِده استعدادًا لانطلاقٍ آخر يصنعه بنفسه في أقرب زمان، وقد قال ابن القيم: «تخلل الفترات للسالكين أمرٌ لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تُخرجه من فرض، ولم تدخله في مُحرَّم؛ رُجي له أن يعود خيرًا مما كان»[1].

٢) فتور نفسي:

وهي أول درجة من درجات الفتور غير المحمود، وإن كان لا يُذم صاحبه، ولكن لا يُحمد حاله، وغاية مَن أصيب به أنه لا

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم

ONE PIECE
BOOKS

يجد من نفسه نشاطًا لزيادة وتحسين العبادات التي ألزم نفسَه بها، وثبت عليها مع بقائها، وقد تذهب لذتها فترة من الزمان ثم تعود، ويكاد لا يسلم من هذه الدرجة أحدٌ مهما بلغ من الصلاح.

وفيها يصاب العبد بالوخم الذي يدفع صاحبه لترك العمل الزائد عن الحد الواجب، فيتعطل قلبه ويدنه عن فعل المستحبات والتقدم في طريق الله إلا أنه لا يصل إلى حد التقهقر والانحراف، ويوصف صاحب هذه المنزلة بالخير والصلاح إن كان من عموم الناس، أما أهل الجد وأصحاب الهمم فلا يرضَوْنها لأنفسهم، ولا تُرضى لهم، بل هي مذمةٌ في حقهم، وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما: (يا عبدَ اللهِ! لا تكُنْ مِثلَ فُلانٍ كان يقومُ من الليلِ، فترَكَ قِيامَ الليْلِ)[1].

[1] رواه البخاري ومسلم

BOOKS

وفيها يُسلب العبد قوة إيمانه فلا يجد قوة لفعل الخير واجبه ومستحبه، ثم إنه في نفس الوقت يقوى على فعل المعاصي بجرأة واستزادة، فيخرج بفتور قلبه من طريق الخير إلى طريق الشر، إلا أنه لا يرض عن نفسه، فهو مُنَغَّص العيش، مُقَطَّع القلب، ولو كنت تراه مبتسمًا، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾[1].

وهي الدرجة الأخيرة، وفيها يحتضر القلب حتى يموت، فلا يكاد يعرف معروفًا كي يفعله ولا يكاد ينكر منكرًا كي يجتنبه، فقد ذهب نورُ قلبه ولم يعد يرى إلا هوى نفسه فهو الذي يأمره وينهاه،

---

[1] طه: ١٢٤

وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، فهذا وإن فعل الخير أو ترك الشر كان فعله وتركه نابعًا من طبعه لا من إيمانه بالله واليوم الآخر، وهذا في أبأس المنازل،

إلا أن رحمة الله وتوبته تشمل كل حي.

واعلم - رحمني الله وإياك - أن في كل درجة من هذه الدرجات السابقة درجاتٍ من المرض، فقد تسوء فتقترب مما بعدها أو تحسُن فتقترب مما قبلها، وقد قال الله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾[2].

وأيضا فيها درجات من البصيرة والوعي بالفتور، فليس كل مصاب يبصر إصابته ويعي دقيق خطورتها، ولقد قص الله علينا قصة (السامري)، وكان ضلاله فيما أبصر.

---

[1] الجاثية: ٢٣

[2] البقرة: ١٠

فقال تعالى على لسانه: ﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾[1].

وأيضًا فيها درجات من العزم، فالناس ليسوا سواء في العزم: المخرج من الظلمات إلى النور، أو العزم المُهلك من النور إلى الظلمات، وقد يقف العبد أمام الصراط المستقيم متيقنًا منها، فيقول مثل قول بعض جيش طالوت: ﴿ فَقَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾[2].

وأيضًا فيها درجات من الندم على الحال، فمن حزين باكٍ على فتوره إلى مهموم مُغتم بضعفه إلى باردٍ غير مكترث ببعده إلى سعيد بإبعاده، وقد قال الله تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[3].

---

[1] طه: ٩٦

[2] البقرة: ٢٤٩

[3] التوبة: ٨١

وهنا أسئلة مهمة

لو كنت مصابًا بالفتور، ففي أي درجة أنت؟

.....

ما الدليل على صدق إجابتك؟

.....

وماذا ستفعل بعد إعترافك؟

.....

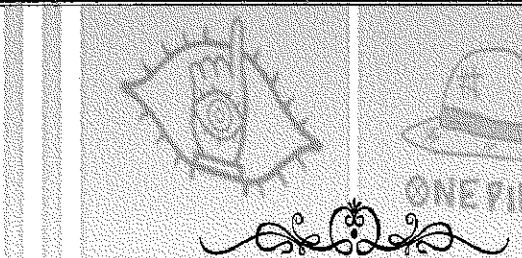

يجب أن نتفق أولاً أن هذه الدنيا تسير بقوانين وسنن وضعها الله ﷻ لينتظم سيرها وليستقيم العيشُ فيها،

ومن هذه السنن: أن كل حادث له سبب يحدث أو يتوقف به، وقد قال الله ﷻ عن ذي القرنين: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[1]، وليس على الإنسان إلا أن يأخذ بالأسباب كي يصل لبُغيته؛ لذا كان حال ذي القرنين بعد معرفة الشيء وسبب الوصول إليه أن قال الله فيه: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾[2]، فبلغ ما أراد بعد أخذه بالأسباب.

---

[1] الكهف: ٨٤

[2] الكهف: ٨٥

وأسباب الفتور قسمان:

قسم طَبْعي تَلقائي، وقسم فعلي تكلفي،

فأما القسم الأول فهو مُرَكَّب في طبع الإنسان، فلا سبيل لتوقيه، إنما السبيل في إدراكه وكيفية التعامل معه،

وأما القسم الثاني فلا يصل إليه الإنسان إلا بفعل أو بترك فعل، فيمكن توقيه، فإذا ضعف الإنسان وسقط فيه، وجب عليه تعلُّم كيفية الخروج منه، والأخذ بأسباب النجاة والصبر عليها.

ولأن الأسباب قد تتداخل، وكل سبب قد يحتمل الوجهين، فإنَّا سنذكر أهم أسباب الفتور دون تقسيم، ولعل أهم ما تهتم به الآن هو: اكتشاف نفسك وسبب فتورك سواءً كنتَ تمر به الآن، أو مررت به منذ فترة؛ كي لا تعود لنفس النفق مرة أخرى.

ONEPIECE
BOOKS

٢- العمل في الطاعة

وهي السآمة من العبادة في الطريق إلى الله،

والملل مُركَّب في طبع الإنسان بأسبابه، فهو عكس الملائكة، فقد قال تعالى فيهم: ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾[1]، فبعد أن كان العبد مشتاقًا لوقت أداء العبادة، منشرحَ الصدر لها، محسنًا في القيام بها، أصبحتْ حملاً ثقيلاً على قلبه، يضيق صدرُه بدرجة ما كلما اقترب وقتها، فإذا جاء أسرع فيها بغير إحسان، وكأنه يلقيها من فوق ظهره ليتخلص منها، ثم يتوقف عن أدائها بعد ذلك فجأة أو بالتدريج.

---

[1] فصلت: ٣٨

وقد يمل العابد في الطريق

- لتكرار عبادته برتابة.
- أو بسبب طول الطريق أو باستطالته.
- أو لعدم معرفة غاية العابد من العبادة أو نسيانها.
- أو لقلة الالتزام بالتكاليف الشرعية.
- وأعظم الأسباب الجهلُ بمَن يتقرب بها إليه.

فإذا وجد شيء من هذه الأسباب

فهو طبع الملل، فتعذب العبادة

حتى يمر منها

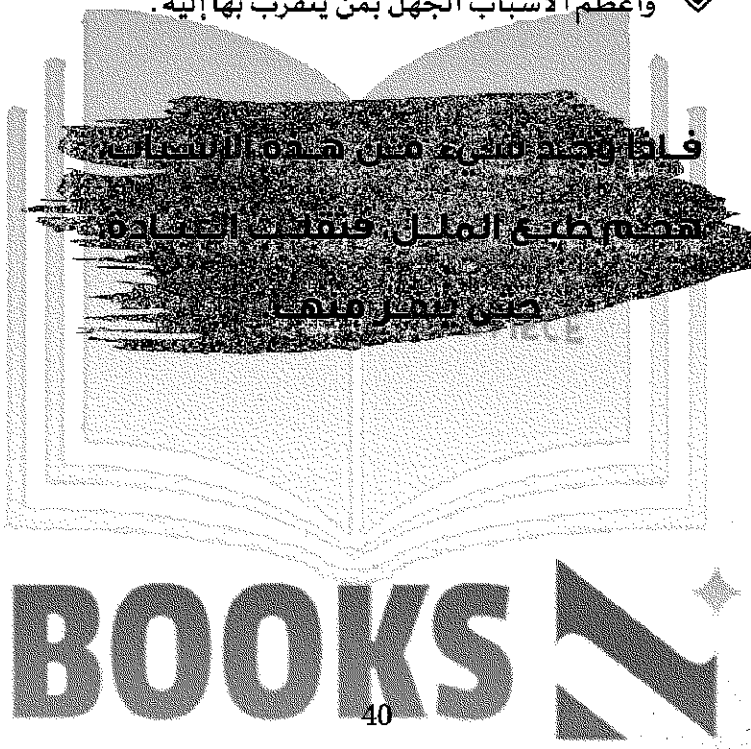

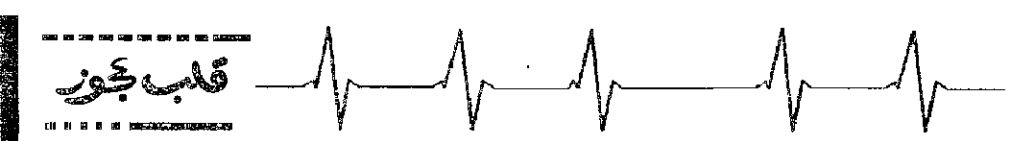

رسالة إلى نفسي

أخي الفاضل أختي الفاضلة...

إن كنت تجد من نفسك شيئًا مما ذكرتُ لك،
فسأعرض عليك حلولاً مقترحة، قد تلائمك
دون تعديل، وقد تحتاج لتعديل يناسبك،

فكن طبيبًا لنفسك، مرشدًا لها،

واسأل الله التوفيق والسداد، فَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً".

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أَصَابَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ".

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ".

ONE PIECE
BOOKS

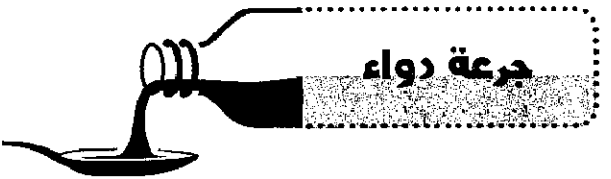

إن كنت مصابًا بالملل بسبب رتابة العبادات وتكرارها:

فاجتهد في البداية أن يكون لك حدٌّ أدنى في أبواب العبادات المتاحة لك، فتحدده ولا تترك الأمر كيفما اتفق، وليكن على رأسها طلب العلم الشرعي بحضور مجالس العلم أو سماعها مسجلةً أو القراءة أو غير ذلك، وليكن أيضًا في مقدمتها الصلاة، والذكر، وبر الوالدين، وقراءة القرآن، والدعاء، والصيام، وصلة الرحم، والصدقة، ومساعدة الناس ونصحهم، وأبواب الخير كثيرة تعرفها بتعلم العلم، وأرشدك في ذلك إلى كتاب «رياض الصالحين» وكتاب «الترغيب والترهيب»، ولو قرأت اختصاره لكان جيدًا.

BOOKS

وينبغي عليك أن تعلم أيَّ العبادات أقرب لقلبك، لأنها الأسهل على بدنك، فإن لكل إنسان ميولاً لبعض العبادات، فهي توافق طبعَه وتلائم موهبتَه، فيحبها أكثر من غيرها، وليس هذا إلا بتوفيق الله ﷻ فإنه يهب لمن يشاء ما يشاء بغير حساب، وقد يفطر الله عبده على بعض ما يحب، وقد كان النبي ﷺ يحب كل العبادات، ولكن جُعلت قرةُ عينه في الصلاة، والناس مختلفون، ولعل أحدًا يحب الصيام أكثر من الذكر، أو العلم أكثر من الصيام، أو الدعوة إلى الله أكثر من الصدقة، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[1]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاه تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ)[2]. **فإذا عرفت أي العبادات لهواك أقرب اجعلها ترتفع عن الحد الأدنى الذي ذكرتُ لك في الخطوة السابقة ليظل التميز موجودًا في حالك ولو في باب واحد.**

فإن كان الملل منها فلا تزد فيها بل اجعل لها حدًّا أدنى مثل غيرها أو أعلى قليلاً.

---

[1] البقرة: ١٤٨

[2] رواه ابن أبي عاصم في "السنة"، والطبراني في "المعجم الكبير" وقد صححه النووي وضعفه ابن رجب الحنبلي

BOOKS

ثم حدد فترةً معينة ليست بالطويلة ولا بالقصيرة لتجعلها فترة تعافٍ، فتنظم مرحلة استرخاء عام من جميع التكاليف الحياتية الرتيبة، بأن تأخذ إجازة متوسطة المدة تريح فيها ذهنك وبدنك، وتبعد عن بعض مهام حياتك الرتيبة إن استطعت، وتدمج فيها بين إشباع جسدك ببعض المباح الذي تشتهيه وبين بعض العبادات التي لها طبيعة مختلفة عما مللت منه، فإن كنت تشعر بالفتور في الصلاة والصيام مثلاً وأنت تعلم أنه أمرٌ عارض، فلتثبت على الفرائض في المسجد مع الرواتب أو ما طابت نفسك من صلاة الليل، ولو كان الأمر خاصًا بالصيام فاثبت على ثلاثة أيام في كل شهر مثلاً، ثم استحدث في حياتك عباداتٍ جديدة عليك لم تكن تعتادها، كجمع التبرعات للمحتاجين، أو زيارة لدور رعاية الأيتام بالهدايا والألعاب، أو رحلة عمرة إن تيسَّر، فإذا فعلتَ ذلك في مدة متوسطة واستعنت بالله اشتقت لأبواب الخير الأولى التي كنت حارسًا عليها فرجعتَ نشيطًا حريصًا.

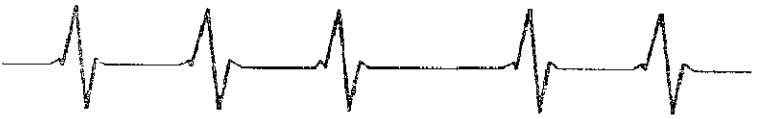

واحذر من نفسك على نفسك إن طال بك وقت الاستراحة، فإن النفس تعتاد البطالة إن عودتها، وتستوحش من الأبواب التي هجرتها، فحينها الأمر يحتاج إلى مجاهدة النفس لرجوع إجباري، والصبر على ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1]

وإن كان الملل بسبب طول الطريق أو استطالته:

فاعلم أنك ترى الأمر على غير حقيقته؛ فإن الطريق ليس بطويل، لأن الطريق ما هو إلا جزءٌ من عمرك الذي ستُحاسب عليه، وهو المتبقي بعد إخراج ما قبل البلوغ والنوم مما قد يقارب النصف من أصل العمر، وهذا الجزء مهما طال فهو قصير، واسمع في ذلك رأيَّ من كان عمره أضعاف عمرك، فقد ورد عن الحسن أنه قال: «لما أتى ملكُ الموت نوحًا ليقبض روحه،

[1] العنكبوت: ٦٩

BOOKS

قال: يا نوح كم عشتَ في الدنيا؟ قال: ثلاثمائة قبل أن أبعث، وألف سنة إلا خمسين عامًا في قومي، وثلاثمائة سنة وخمسين سنة بعد الطوفان، قال ملك الموت: فكيف وجدت الدنيا؟ قال نوح: مثل دار لها بابان دخلت من هذا وخرجت من هذا»[1].

ولا يغرنك عدمُ معرفة موعد نهاية عمرك، فإن الموت يأتي بغتة، والجميع ذائقه، وقد قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾[2]، وكم من شاب خرج لحاجة فلم يرجع، وكم من طفل لم يشب، وكم من صحيح معافى هجم عليه المرض فما أمهله أيامًا، ولقد رأينا من موت الفجأة ما نستيقن معه أن نهاية المرء دائمًا أقرب من توقعاته، وخوفك من الموت لا يعجّله ولا يؤجله، فالأمر كله لله، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[3]، فإذا جاء الموت لغير المستعد تبدأ الحسرات ويندم المفرِّطون، وقد قال ﷻ:

---

[1] تفسير القرطبي، ج١٣

[2] العنكبوت: ٥٧

[3] آل عمران: ١٤٥

BOOKS

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[1]، وقال الله تعالى عن لحظة الموت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾[2].

وأما المستعد فقد أخبرنا الله تعالى كيف يُستقبل فيقال له:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[3].

فإذا علمت أن العمر قصير، وأنه ينتهي فجأة، وأن المقصِّر سيتحسر، وأن المُحسن يُغفر له ذنبه، ويعلو في الدرجات العُلى بحسب عمله، سارعت لرضا الله فارًّا من غيره إليه، وصرخت قائلاً: ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾[4].

---

[1] المؤمنون: ٩٩- ١٠٠

[2] محمد: ٢٧

[3] الفجر: ٢٧- ٣٠

[4] طه: ٨٤

ONEPIECE BOOKS

وإن استطلت طريق طاعةٍ بعينها لا العمر كله، كأن تستطيل طلب العلم مثلاً، فتبدأ ثم تنقطع لعدم شعورك بالإنجاز، وهذا قد يكون بسبب قلة عزم الطالب أو بسبب ترك التدرج.

فإن كان بسبب قلة العزم، فأنصحك بكثرة الدعاء بالثبات والعزم، وبصحبة أصحاب الهمم العالية من الطلاب، وبالصبر على الطلب حتى تُؤتى ثماره من العمل به، واللذة فيه، والبركة بسببه.

وإن كان بسبب ترك التدرج في طلب العلم، كأن يستعجل الطالب فيبدأ بالمطوَّلات من الكتب فيملُّ من عدم شعوره بالإنجاز، فعليه أن يُعمل عقله فيعلم أن التدرج سنة الله في نمو الأشياء، ويُعمل بصره فينظر لمن حوله فيعلم أن كل من ترك التدرج لم يُكمل الطريق، ويُعمل أذنه فيستمع النصحَ ممن سبقه، فيمتثل ليلتزم بجدول في طلب العلم معتمَد من معلِّم، يبدأ فيه بالمُختصرات ثم ينمو شيئًا فشيئًا، ويُنصح في ذلك أيضًا أن يُلزم نفسه بالحضور والمذاكرة وسط مجموعة مترابطة ليتعهد بعضهم بعضًا.

و إن كان الملل بسبب عدم معرفة غايته من العبادة أو نسيانها:

فعدم معرفة الغاية جهلٌ، والجهل لا يُعالَج إلا بالعلم، وقد قال النبي ﷺ: «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم»[١]، وقال ﷺ: «أَلَا سَأَلُوا إِذَا لَمْ يَعْلَمُوا؟ فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ»[٢]، والغاية من العبادة هي إرضاءُ الله - ﷻ - لتجاوزه في الجنة، فمن علم ذلك صَبَرَ على الطريق ومصاعبه، ومن جهله لم يصبر، وقد قال الله تعالى على لسان الخَضِر: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[٣].

وقد تكون عالمًا بالغاية، حافظًا لها، ولكن الإنسان بطبيعته كثيرُ النسيان لذا سُمي إنسانًا، فإذا نسيت أو غفلت عن العهد والغاية ضعف العزم وبدأ الوهن والفتور.

---

[١] رواه ابن ماجه، وصححه الألباني

[٢] رواه أبو داود، والدارقطني، وضعفه الألباني إلا أن معناه صحيح

[٣] الكهف: ٦٨

وقد قال الله تعالى في آدم عليه السلام: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾[1]، ودواءُ ذلك أن تُكثر من ذكر الله تعالى، وتلاوة كتابه بورد ثابت، وتواظب على مجلس علم وتذكير، وتداوم على طلب النصح من أقرانك الصالحين، وتصبر على صحبتهم، فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «رَحِمَ اللهُ امرأً أهْدَى إليَّ عُيوبي»[2].

وإن ظهر الملل بسبب قلة الالتزام بالتكاليف الشرعية:

فاعلم أن الله عز وجل خلق الإنسان منطبعًا فيه النظر والقياس، فإذا رأى شيئًا وقال: هذا كبير، فإن المقصود كبير عن المعتاد الذي قاسه به في نفسه، ولو رأى شيئًا فقال: هذا صغير، فأيضًا هو قد قارنه بغيره في نفسه فرآه صغيرًا، وإلا فقد يكون بيتًا فيوصف أنه صغير وسيارة توصف أنها كبيرة من نفس الشخص،

---

[1] طه: ١١٥

[2] إحياء علوم الدين للإمام الغزالي (٣/ ٦٤)

مع أن البيت أكبر من السيارة، فإذا علمت ذلك علمت أنه ينبغي عليك أن ترى طريق الله بعين الشريعة لا بعين نفسك، فقد ترى الأمر صغيرًا وهو عند الله كبير، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[1]، فبعض العباد إذا بدأ في الطريق وسوس له الشيطان قائلاً: (لابد أن تتدرج في العبادات فتبدأ بالقليل حتى تصل إلى الكثير يا صاحبي)، وقد صدقه الشيطان في أصل المعنى ولكنه كذوب خادع، فقد يدفعه بوسوسته لاختيار كم من العبادات لا يُرى بالعين المجردة ولا يوصف صاحبه في الشرع بالصلاح، ويعلِّل ذلك بطلب التدرج والثبات في العبادات، فإذا مرت به الأيام ولم يرَ تغيرًا يُذكر في حاله، وعلم أن فعله لا يُحمد عند أهل الديانة، ولم يشعر ببركته في الحياة، شعر بالإحباط والملل فحاله يشبه من يحفر في الماء، نعم يسهل عليه غرْفه، ولكن يستحيل أن يجد أثرَه.

[1] النور: ١٥.

فكن صاحب تغيير حقيقي، يرفع عنك الإثم، ويدفعك لفعل الخير، ولا شك أنك ستجد جهدًا ومدافعات داخلية وخارجية، ولكنها علامة الجدية في الطريق، فإذا صبرت على الصعود والترقي بتدريج معتبَر وصلتَ حتمًا إلى الكبير الأكبر.

وإن كان الملل بسبب الجهل بالله:

فاعلم أن هذا السبب مُهلِك للعبد، فبه تُترك الطاعات، وبه تُفعل المعاصي، وبه يدخل الناس النار، أعاذنا الله وإياك منها.

وكما أن الظلام يُذهبه النور فالجهل يُذهبه العلم، فتعلَّم أسماء الله وصفاته، وتعلم معانيها، وتعلم كيفية التعبد بها، وتعلم شرعه، فما أحلّه أحللته وأقبلت عليه، وما حرَّمه حرمته وأعرضت عنه، وما أباحه أخذت منه ما يكفيك ولا يُعَطلك.

وهذا العلم يحتاج إلى معلِّم كي يصل إليك على وجهه الصحيح، فكن تلميذًا لمن يصلح أن يكون قدوة في الدين، والقدوة تُعرف بقربها أو بعدها عن النموذج الذي أُمِرْنا أن نتأسى به، وهو النبي ﷺ فقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

ولا يصدنك عنه اطّلاعك على شيء من تقصيره طالما لا يشين دينه، فما من فرس إلا وله كبوة، والكمال النبوي لن يصل إليه أحدٌ مهما اجتهد، فارضَ بما تنتفع به، واسترعيبه، وادع له، وسد عجزه في الاقتداء بما تتعلمه من حال النبي ﷺ والصحابة في الكتب.

[1] الأحزاب: ٢١

ONE PAGE BOOKS

واعلم أن ما لا يُدرك كله لا يُترك كلُّه، وكما يقال في المثل (نصف العمى ولا العمى كله)، ومقصودي أن تحاول تحصيل ما ذكرتُ من العلوم، والاقتداء بما تستطيعه، فمنا من يتمكن لحضور أكثر من أربع دروس في الأسبوع، ومنا من لا يستطيع إلا سماعها مسجلة عبر الإنترنت، ومنا من لا يقدر إلا على رؤية قدوته مرةً في الشهر، وأحوال الناس تختلف، فاختر ما يناسبك، وألزم نفسك به، ولا تضعف.

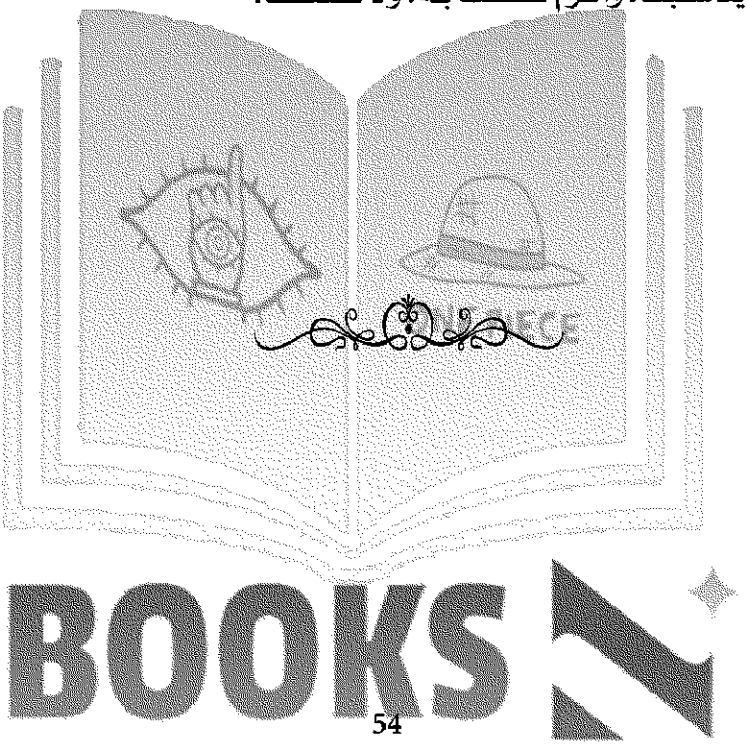

قرارات

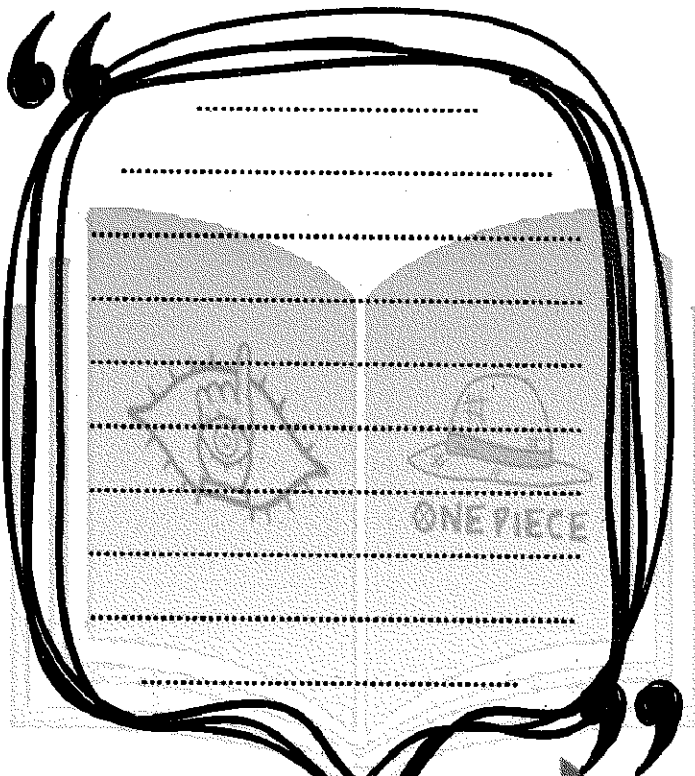
ONE PIECE

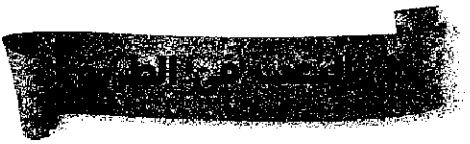

إن العابد إذا أتعب جسده في طريق الله تعبًا لا يطيقه توقف عن الاجتهاد والمجاهدة، فتقعد نفسه رغمًا عنه، فلا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى[١]،

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٢].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: «معنى الحديث: النهي عن التشديد في الدين، بأن يحمِّل الإنسانُ نفسه من العبادة ما لا يحتمله إلا بكُلفة شديدة، وهذا هو المراد بقوله ﷺ: «لن يشاد

---

[١] قال ﷺ «إن دينكم متين، فأوغل فيه برفق، فإن المنبت لا ظهرا أبقى، ولا أرضا قطع» رواه الإمام أحمد وحسّنه الألباني

[٢] رواه البخاري ومسلم

BOOKS

الدينَ أحدٌ إلا غلبه» يعني: أن الدين لا يؤخذ بالمغالبة، فمن شاد الدينَ غلبه وقطعه»[١]، وليس معنى ذلك أن تكون ضعيف السير، فإن النبي ﷺ وإن قال: «والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغوا»[٢] وقد قال أيضًا: «وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ»[٣]، **والغدوة: السير أول النهار، والروحة: السير بعد الزوال، والدلجة: السير آخر الليل**، أي استعينوا بالله في دوام السير إلى الله بما تستطيعون، وليس المقصود سيروا إلى الله مدةً ثم توقفوا عن السير بعدها، فإن هذا التوجيه لا يكون من النبي ﷺ أبدًا.

* **وقد يفتر العابد في الطريق إذا كلَّف نفسه فوق طاقتها من التكاليف التعبدية** من أوراد الصلاة والذكر والدعاء وقراءة القرآن والمذاكرة وغير ذلك من العبادات، وليس معنى وجود التعب قلة حبه للعبادة، ولكنه رد فعل طبيعي لما كلف نفسه ما لا يطيق.

---

[١] فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب

[٢] رواه البخاري

[٣] رواه البخاري ومسلم

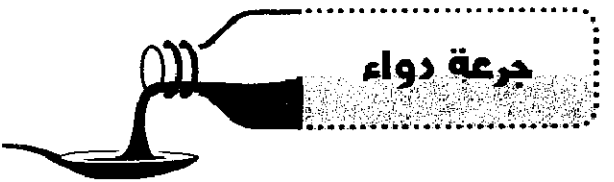

فإن وجدت في نفسك فتورًا بسبب إتعاب جسدك:

فعليك أولاً أن تعلم أن الله عاملك بقوله سبحانه: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[2]، فلا تكلف نفسك ما لا تطيق، فإن الذي خلقك أعلم بك منك، وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ، تُصَلِّي. قَالَ: «عَلَيْكُمْ مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا» وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ[3].

---

[1] البقرة: ٢٨٦

[2] الحج: ٧٨

[3] رواه البخاري، ومسلم واللفظ له

وعليك أن تعلم أيضًا أن الذي يرهق نفسه حتى يتعبها يتوقف عن السير لا محالة، لذا فإن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى»[١]، ولم يحمد النبي ﷺ حالَ الذي يرهق نفسه بما لا يطيقه من العبادات، وقد ورد عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب إذا فترت تعلقت به، فقال النبي ﷺ: «حِلُّوه، ليُصلِّ أحدُكم نشاطَه، فإذا فَتَرَ فليرْقدْ»[٢].

ثم إن الذي يضغط على نفسه بما لا يطيقه قد يتعدى حدَّ الانقطاع والفتور إلى حد الإساءة؛ لذا قال النبي ﷺ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ، حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ»[٣].

---

[١] رواه الإمام أحمد وحسّنه الألباني

[٢] رواه النسائي وابن خزيمة، وصححه الألباني

[٣] رواه البخاري، ومسلم

فإذا عرفتَ هذه المقدمات الثلاث، فعليك أولاً أن تحدد أبواب الخير المتاحة لك، ثم تطرقها بجدول تدريجي تترقى فيه في كل عبادة كمًّا وكيفًا.

ولا تجعل جدول الترقي في كل العبادات سواء، فإنك تعلم أن بعضها أحبُّ لقلبك، وأيسر على بدنك من البعض، لذا ليكن تدرجك فيما فتح الله عليك أكثر همة وإحسانًا.

فمثلاً تعاهد نفسك ألا يمر شهر إلا وأنت واصل لكل أسرتك بأي طريقة من طرق الصلة، ولا يمر عليك أسبوعان إلا وأنت متصدق بصدقة، ولا يمر أسبوع إلا وقد حضرت مجلس علم، ولا يمر ليل إلا وأنت متطوع لله بالصلاة، ولا تمر ساعة إلا وأنت قد عطرتها بالصلاة على النبي ﷺ، والاستغفار، والباقيات الصالحات[1] والحوقلة[2].

---

[1] وهم (سبحان الله- والحمد لله- ولا إله إلا الله- والله أكبر).

[2] لا حول ولا قوة إلا بالله

وقد يكون ما ذكرتُ مناسبًا للبعض، وقد يحتاج لتبديل بعض الطاعات والأوقات، وقد يحتاج البعض أعلى من ذلك، وقد يكون مرهِقًا لغيرهم، فصمم طريقةَ سيرك بنفسك لتكون ملائمة لك، واحذر من تصميم البطالين المتكاسلين، فإن منزلتك على قدر سيرك.

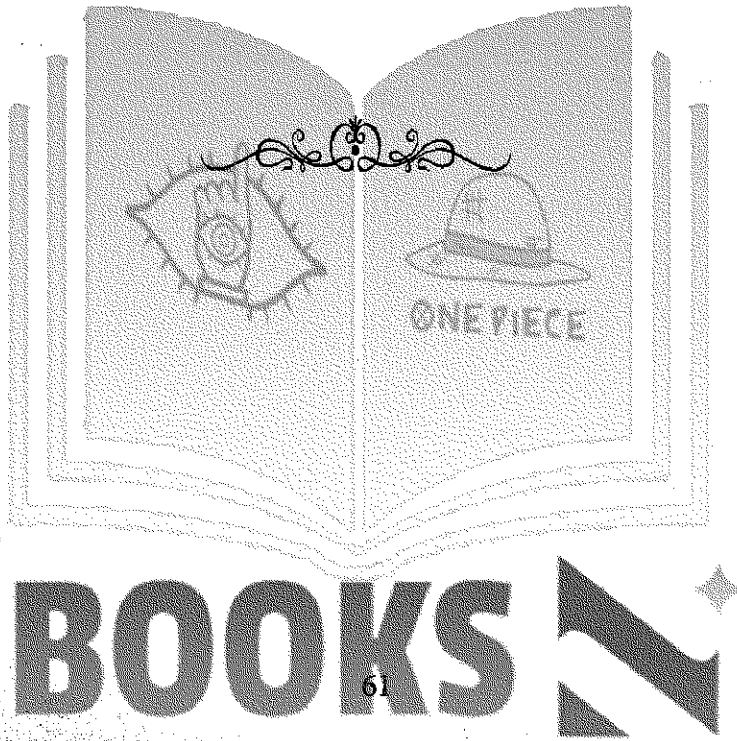

اصنع جدولك

سنوي	١. عمرة. ٢. قراءة المصحف ١٢ مرة. ٣. قراءة ٢٤ كتاب. ٤. نشاط في إعانة الفقراء قبل موسم الشتاء. ٥. صيام رمضان. ٦. اعتكاف رمضان. ٧. زكاة المال. ٨. .....
شهري	١. قراءة المصحف مرة على الأقل. ٢. قراءة كتابين. ٣. صلة رحم جميع أرحامي: جدي عم١ عم٢ عمة١ عمة٢ خال خالة ١ خالة٢ ٤. صدقة. ٥. صيام ثلاثة أيام ١٣ - ١٤ - ١٥ من الشهر العربي. ٦. الاشتراك في عمل دعوي. ٧. ..... ٨. .....

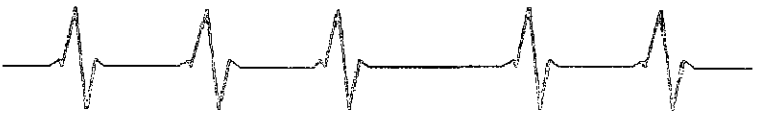

أسبوعي	١. درس علم. ٢. دعاء آخر ساعة يوم الجمعة. ٣. صيام اثنين وخميس. ٤. حلقة تسميع قرآن. ٥. إدخال السرور على مسلم. ٦. ..... ٧. .....
يومي	١. الصلوات الخمس: صبح ظهر عصر مغرب عشاء ٢. السنن الرواتب. ٣. صلاة قيام (ولو ركعتين). ٤. صلاة الوتر. ٥. أذكار الصباح والمساء. ٦. ورد القرآن. ٧. توبة من الذنوب. ٨. نصح الغير. ٩. .....

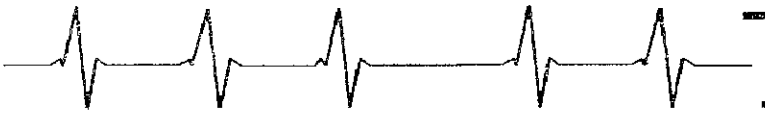

تنبيهات هامة

لا تغفل عن محاسبة نفسك بشكل دوري على ما ألزمت نفسك به في الجدول.

لا تظن أنك ستقدر على صناعة الجدول المناسب من أول تجربة فهذا نادر، وغالب الناس إما أن يبالغ في كثرة الأعمال لحماسه أو يبالغ في قلتها لخوفه من عدم الالتزام، وكلا الطرفين مذموم، ويمكنك تعديل الجدول بالزيادة أو بالنقصان خلال تنفيذ الخطة الموضوعة.

لا تغفل عن نصيبك من الترفيه المباح، فإن النفس تمل، ولا تبالغ فيه، فإن النفس تعتاد.

BOOKS

وهو ضعف العابد عن العبادة، وعدم القدرة النفسية على القيام بها رغم القدرة البدنية عليها،

وليس من الشرط أن يكون رافضًا لها، بل قد يكون محبًا لها مشتاقًا، ولكن الوهن ضربَ القلبَ فقتل عزمَه، فهو ينظر إلى أبواب الخير مفتَّحة، يشتاق أن يرى قدميه تجريان من خلالها، ومع ذلك فهو يقف مكانه ولا يتحرك، فلا يدري أين ضُربت الأغلال ولا يراها، لكنه يشعر بها،

قال ابن القيم رحمه الله: (وَأَصْلُ الْمَعَاصِي كُلِّهَا الْعَجْزُ، فَإِنَّ الْعَبْدَ يَعْجِزُ عَنْ أَسْبَابِ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ، وَعَنِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُبْعِدُهُ عَنِ الْمَعَاصِي، وَتَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، فَيَقَعُ فِي الْمَعَاصِي)[1].

---

[1] زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية

وقد يعجز العابد في الطريق:

- لقلة إيمانه بالله.
- أو لقلة صدقه مع الله وما طلبه منه.
- أو باستحبابه الدنيا على الآخرة، غير معترف بذلك أو معترف.
- أو بمصاحبة العاجزين فأخذ منهم العجز بالعدوى.

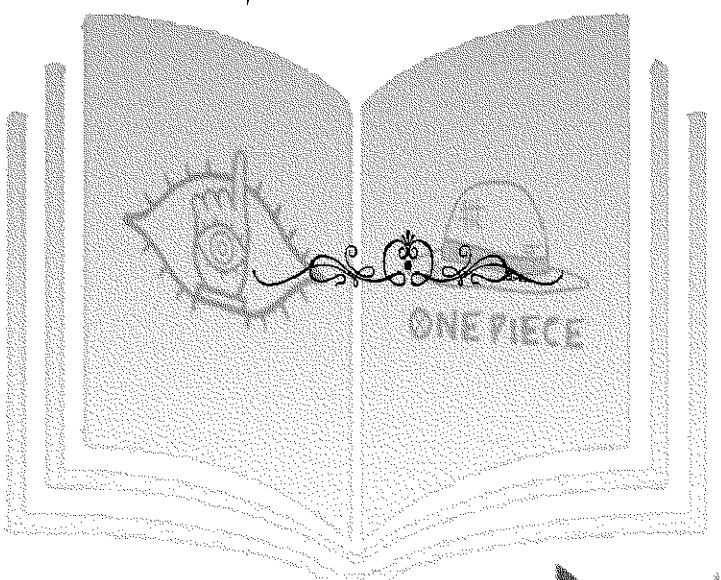

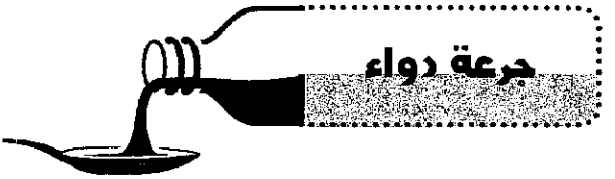

فإن وجدت في نفسك عجزًا بسبب قلة الإيمان بالله:

ولعلك تسأل نفسك قبل العلاج: كيف أعرف أنه بسبب بقلة الإيمان بالله؟ أو لعلك تقول: «لا، لا، أنا مؤمن بالله، وإيماني قوي»، وهنا لابد أن تعرف أن الإيمان ليس مجرد التصديق بوجود الله، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل، فضعفُ السير إلى الله دليلٌ على ضعف الإيمان، كما أن سرعة وقوة السير إليه دليلٌ على قوة الإيمان.

واعلم أن إيمانك لم يقل إلا لأنك أحدثت شيئًا في حالك من تهاون في القيام بالطاعة، أو تجرؤ في فعل المعصية، فابدأ بتنظيف الطريق وإصلاح المعوَج، والرجوع عما أحدثت وأفسدت.

فإن الله تعالى هو القائل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣﴾[1].

وعليك بالصدق في الدعاء، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ»[2].

وقاوم نفسك في الثبات على الأعمال الصالحة بتكلُّف، وعلى رأسها الذكر؛ فإنه يقوي القلب، وتلاوة القرآن فإنها شفاء للأمراض، والصلاة على النبي ﷺ فإنها سبب تفريج الكروب، واحرص على صلاة الجماعة في الصف الأول في المسجد، فإن الصلاة نور، أو في أول الوقت لو كانت المرأة في بيتها، وجاهد نفسك في الثبات على الإحسان في الأعمال الصالحة ما ذكرتُ منها وما لم أذكر، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾»[3].

---

[1] الأنفال: ٥٣

[2] رواه الطبراني والحاكم، وصححه الألباني

[3] العنكبوت: ٦٩

BOOKS

وليكن لك ورد قراءة أو سماع دروس تتعلم فيها أجور الطاعات وعقوبات تركها أو عقوبات المعاصي وأجور الصبر على البعد عنها، وليكن لك حظٌ من قراءة سِيَرِ الصالحين الذين ماتوا وصُحبة من بقي منهم في عصرك، فإن صحبة الصالحين دواء.

واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب،

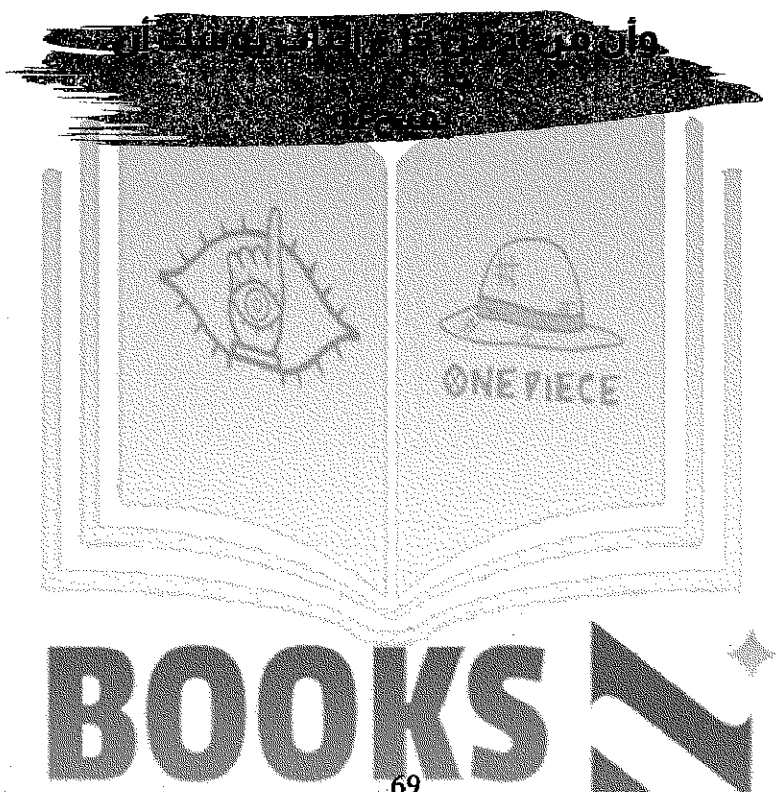

وإن وجدت في نفسك عجزًا بسبب قلة صدقك:

ولعلك تسأل نفس السؤال مرة أخرى، وكيف أعرف أكنتُ صادقًا أم لا؟ وإني أعطيك علامة الصادق فإن وجدتها فاحمد الله، وإن لم تجدها فاعلم أن الأمر يحتاج إلى إصلاح، فالصادق يتساوى عنده ثلاثة أشياء، ما في قلبه وما ينطقه بلسانه، وما يفعله بجوارحه، فإن وجدت شذوذًا من واحد أو اثنين فهذه علامة ضعف الصدق، فتكون مكلفًا بإصلاحه ليصحَّ عمل قلبك، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[1].

فعليك بالدعاء، وصحبة الصالحين، وتكلّف موافقة ما في قلبك لما يرضاه ربك ثم تطابقه بما تتحدث به، ثم توافقه بما تفعله، فإن فعلت تبلغ الصدق بإذن الله.

[1] التوبة: ١١٩

ولا تظن أن الأمر يأخذ يومًا أو يومين، بل إن بلوغ منزلة الصدق يحتاج لوقت وثبات على أسبابها، فإذا أطال الله عمرك حتى وصلت إليها فاحمد الله على منه وكرمه، وإن وافتك المنية وأنت على طريق سائر فقد وقع أجرك على الله ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾.[١]

وإن كان العجز بسبب استحباب الدنيا على الآخرة:

فاعلم أن عادة من كان حاله تفضيل الدنيا على الآخرة أن ينكر ذلك بلسانه، وإن كان حاله يصرخ بخلاف قوله، فقلّ أن تجد شجاعًا في توصيف نفسه، مواجهًا لها بعيبها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «يُبْصِرُ أَحَدُكُمُ الْقَذَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ، وَيَنْسَى الْجِذْعَ فِي عَيْنِهِ»[٢].

---

[١] الإسراء: ٨٠

[٢] رواه ابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني

واعلم أنه أيضا لا يكتفي بفعل المخالفات فقط، بل قد يزيد الأمر فيدعو إليها على نطاقه صغيرًا كان أو كبيرًا، وقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ ﴾[1].

ومع ذلك فهم -إلا قليلا منهم- في نظر أنفسهم دائمًا معذورون بأسباب يرونها معتبَرة، فيتخلفون عن طاعة الله وضميرهم مرتاح، فإذا قابلتهم يومًا يقولون مثل سابقيهم ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ ﴾[2].

[1] إبراهيم: ٣

[2] الفتح: ١١

ONE PIECE
BOOKS

فيجب على الإنسان أن يعلم أن الدنيا دار اختبار لا دار قرار، وأنها منقطعة لا محالة، وأنه تاركها يومًا ما، ولعله يكون قريبًا، وقد قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾[1]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءِ. فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»[2].

ويجب عليك أيضا أن تعلم أنك ما جئت هذه الدنيا إلا لتقوم بوظيفتك فيها وهي العبادة، وأنك مختبر فيها، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[3].

---

[1] آل عمران: ١٨٥

[2] رواه مسلم

[3] الذاريات: ٥٦

فمن علم مقامه في الدنيا وهو مقام العبودية ومهمته فيها وهي اختباره في تحقيقها، وأن الدنيا إلى زوال والآخرة هي الباقية، وصبر على ترك المحرَّم فيها، بل وألحق به ما يعطله من المباح أيضًا، وعاش متيقنًا من قول الله تعالى: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾[1]، أصلح دنياه، وعمَّر آخرته.

ولتستعن في ذلك بالدعاء، وتعلم مسائل الإيمان الستة، وهي: الإيمان بالله، والملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقدر، مع قراءة أجور الطاعات، وصحبة أهل الهمم.

ولتستعن أيضًا بالتوبة من كل مخالفة ولو دقَّت، فإن المتقين ينتظرون رغد العيش بعد الموت فيحيون الآخرة أكثر لما فيها، والمفسدون يكرهون نهاية دنياهم لأنهم يعلمون أن حسابهم على مخالفاتهم آتٍ فيحبون الدنيا أكثر لما فيها، وكلٌّ يعمل على شاكلته، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾[2].

---

[1] الأعلى: ١٧

[2] النساء: ٧٧

ولتستعن أيضًا بالتقلل من المباحات استخدامًا وامتلاكًا وانشغالاً وكلامًا، فتطرده من قلبك وإن امتلكته في جيبك، فإذا جاءتك الآيات دخلت إلى القلب دون معوِّق، فأثرتَ ما وعدك ربك على ما رأت عيناك، ويذهب الفتور.

وإن كان العجز بسبب مصاحبة العاجزين:

فاعلم أن النبي ﷺ قال: «المرءُ على دِين خَليلِه فلينظرْ أحدُكم مَنْ يُخالل»[1]، وقال أيضًا ﷺ: «لا تُصَاحِبْ إلاَّ مُؤْمِنًا، وَلا يَأْكُلْ طعَامَكَ إلَّا تَقِيٌّ»[2].

واعلم أن الطبع لص يسرق الخير والشر من طباع مَن حوله، وإنك إن نظرت في حال أهل كل مهنة ستجد أنهم يتكلمون عادة بألفاظ واحدة وأسلوب متقارب، ويحدث ذلك بينهم بغير اتفاق، إنما يحصل بمجرد المخالطة.

فلا تخالط إلا من تحب أن تأخذ منه طبعًا أو خلقًا أو سلوكًا، فتخير أصحاب الهمم، ترفع معهم للقمم.

---

[1] رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، وحسنه الألباني

[2] رواه أبو داود، وحسنه الألباني

قرارات

وهو تثاقل يجده العابد من نفسه إيثارًا للراحة البدنية، فالإنسان عادة لا يحب إتعاب جسده،

ولكن العاقل يتعب يومًا كي يستريح سنة،

ويتعب دنيا كي يستريح آخرة،

أما الكسول فيستريح اليوم ولو تعب سنة،

ويريح جسده في الدنيا ثم يتحسر في الآخرة،

وقد استعاذ النبي ﷺ منه فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل»[1]، والفرق بين العجز والكسل أن الكسل فيه ترك المقدور، أما العجز ففيه ترك غير المقدور.

[1] رواه البخاري

وقد قال ابن القيم رحمه الله:

«وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم، وأن من آثر الراحة فاتته الراحة، وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة؛ فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له؛ بل إذا تعب العبد قليلا استراح طويلا، وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم صبر ساعة»[١]. وقيل للإمام أحمد: متى الراحة؟ قال: «عند أول قدم في الجنة»[٢].

- وقد يكسل العابد إذا فقد الإخلاص لله.
- أو دخلت الدنيا قلبه فملأته وقلّ تعلقه بالآخرة فنسيها.
- أو صاحب الكسالى فسرق طبعهم.
- وقد يكون كسول الطبع أصلاً، فإذا استسلم له أهلكه.

[١] مفتاح دار السعادة لابن القيم

[٢] المقصد الأرشد [٢/٣٩٠]

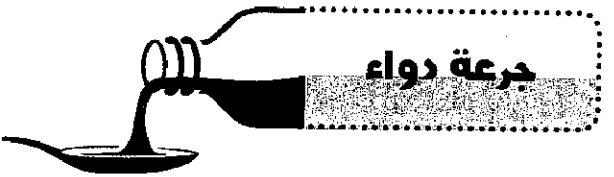

فإن وجدت من نفسك كسلاً بسبب ضعف الإخلاص أو عدم تحقيقه:

فاعلم أولاً أن طبع الكسول يأبى أن يحرك صاحبه من الراحة إلى الجد والتعب إلا إذا جاء ما يُبهر بصره، ويدفع قلبه، فإن كان استرضاء الله في قلب العبد أكبر من أي شيء في هذه الدنيا قام لله بنشاط، وخالف كسله، ولو كان على فراشه، وقد قال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1]، وإلا فقومته تكون لغير الله فتجده يجر قدميه إلى الطاعات جرًا، وقد وصف الله حال المنافقين الذين

[1] السجدة: ١٦

يعملون الطاعة غير مخلصين فيها بالكسل لفقدهم الدافع الحقيقي للقيام بها، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[1]، وكذلك كل من فقد الإخلاص لله فإنه يصبح فريسة للكسل الطبعي.

وقد يخفى على العبد معرفة حال قلبه في الإخلاص، ولو شاء لعرفه بالعلامات، ومنها: عدم الانقطاع عن العمل في خلوته، وألا يغضب بذم الناس ولا يفرح بمدحهم بما يؤثر على إنشاء الطاعات، وألا يزيد تحسينه لعبادات العلن خاصة، ويهمل في عبادات الخلوة عامة، ولا شك أن العلامات أكثر من ذلك فتُطلب في مظانِّها من كتب أهل العلم، وفي الجملة فبالاستزادة من العلم، وبنصح المربي، وبدوام المحاسبة، وبنصح الصاحب الأمين يسهل على العبد معرفة حال نفسه في الإخلاص وضعفه.

[1] النساء: ١٤٢

فينبغي على من وجد ذلك من نفسه أن يسأل الله الإخلاص في دعائه، ويستعيذ به من الشرك، فإن العبادة لو صُرفت لغير الله كانت عند الله معصية لأنها صُرفت لغيره، وقد أمر ألا تُصرف إلا له، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغْنى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّرك، مَن عَمِلَ عَمَلاً أشْرَكَ فيه معي غيري تركتُه وشِرْكَه»[٢].

وعليه أن يكثر من عمل السر، ويترك التصدر، ويخمد ذكره، ويداوم على محاسبة نفسه، ويترك محاسبة الناس إلا من نصح واجب.

وعليه أيضًا معرفة أجور الأعمال الصالحة، واستحضار أجرها قبل العمل فإنه أدعى لإقبال نفسه عليها، وملاحظة نظر الله له ولو بتكلف وقت العمل فإنه أدعى لتحسين العبادة.

---

[١] البينة: ٥

[٢] رواه مسلم

وطلب المغفرة من الله ﷻ من تقصيره بعد العمل، فإنه أدعى لترك العُجْب، بل واستصغار ما قام به لله بمقارنته بغيره من أصحاب الهمم، فإنه أدعى لمزيد من العبادة والإحسان.

و إن كان الكسل بسبب احتلال الدنيا للقلب:

فاعلم أن الدنيا إذا دخلت القلب واحتلته طردت الآخرة لا محالة، فإنهما كعصا الميزان كلما ثقلت إحدى الكفتين ارتفعت الأخرى، فإن وجدت من نفسك استكثارًا منها ونهمًا من مباحاتها وإغراقًا فيها، فاعلم أنك قد تزحلقت على منحدر الطبع فيزداد كسلك في العبادة شيئًا فشيئًا حتى تصل إلى سفح الكسل الأكبر.

فإن أردت النجاة، فابدأ بتدريب نفسك على أمرين: الأول كثرة العطاء بنعم الله عليك، وخدمة الناس بها، والثاني الإمساك عن الاستكثار المعطِّل عن العبادة.

ONE PIECE
BOOKS

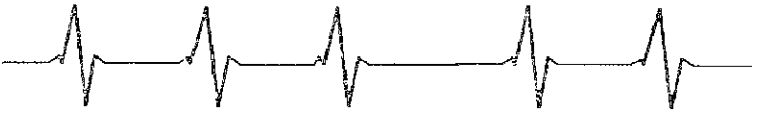

واعلم أن أبواب المباح المعطل لا حصر لها، ومنها النوم والطعام والشراب والكلام والمخالطة واللمس والثياب والممتلكات والسلطة وغيرذلك من أبوابها، وكلما كنت أقدر على التحكم في الإحجام عن الضار منها، كلما كنت أقدر على التخلص من الكسل.

وإن وجدت من نفسك كسلاً بسبب صحبة الكسالى:

فلا تظلم نفسك بصحبة تعطلك في الطريق إلى الله ولو كانوا يوصفون بالصلاح في الجملة. فإن الصلاح درجات فاختر لنفسك أصحاب درجتك التي تحب الوصول إليها، ولا تصاحب أقلَّ منهم فيسحبوك.

واعلم أن الصحبة النشيطة هي التي تدفعك إلى الخير، وتعينك عليه، وتزجرك عن الشر، وتدفعك عنه، ولا تضيع وقتك، ولا تُفتّر نشاطك، ولا تطلب منك انتظارها إن تعطلت،

BOOKS

ففي الصحبة الصالحة يرفع جميع أطرافها للباقين شعار النبي ﷺ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

فإن وجدتها، فاشكر الله تعالى، واحرص عليها، وأدِّ حقها، وأمسك عن غيرها، فإن بالاختلاط تذهب البركات.

وإن كان الكسل طبعًا متأصلاً فيك:

كأن يُعرف عنك منذ صغرك، فقد تعبت أمك منه طفلاً، واشتكى منك المدرسون غلامًا، بل وسخر منك أصحابك شابًا، فإن صاحب النفس الكريمة - وأرجو أن تكون منهم - لا يحب أن يُذم بطبعه طيلة حياته.

واعلم أن الله يخلق الإنسان بمجموعة من الطباع، ثم يأمره في رحلة تكليفه التي نهايتها الجنة أو النار بتزكيتها، وقد قال الله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾[٢].

---

[١] رواه البخاري، ومسلم

[٢] الأعلى: ١٤

والتزكية هي تطهير النفس من خصال الشر وتنمية خصال الخير فيها، والكسل خصلة شر تحتاج أن تطهّرها من نفسك، فلا تبرر استسلامك لها أن الله خلقك بها، فما من إنسان إلا وله خصال مخلوق بها، فإن كانت محمودة كالحلم والكرم وحسن التصرف فهو مأمور بالحفاظ عليها وتنميتها، وإن كانت مذمومة كالغضب والكسل، فهو مأمور بضبطها أو تطهيرها، وإنك لتجد حولك من هو طاغي الغضب وبارد الحماس وشديد الغيرة وغليظ الألفاظ وضعيف الشخصية، فكل ذلك وغيره قد يكون جِبِلِّيًا، ولكن المؤمن القوي الذي يطهّر نفسه ويحملها على الأفعال الجالبة للخلق المطلوب شرعًا أفضل عند الله من المستسلم الضعيف، وقد قال الله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[1].

[1] الشمس: ٩-١٠

- **فإن وجدت من نفسك كسلاً جبليًا، فاسأل الله أن يعيذك منه** كما كان يفعل النبي ﷺ فإن الله أكبر، وهو الذي خلق الداء وهو الطبيب ومعه الدواء.

- **ثم ألزم نفسك بأعمال صالحة أغلبها جماعي**، يزيد دورك فيها تدريجيًا على فترات متوسطة، ولتكن ملتزمًا مع مجموعة نشيطة عُرفت بالاستمرار وعدم الانقطاع كي لا ينقطع العلاج، ولتُتابع مع مُتابع لك يحاسبك، ويحمسّك وقد يوبخك أحيانًا.

- فإن صدقت الله، وصبرت على التحديات، وما استسلمت للكسل في هجماته فإنك بعون الله تعالى قاهر له لا محالة.

قرارات

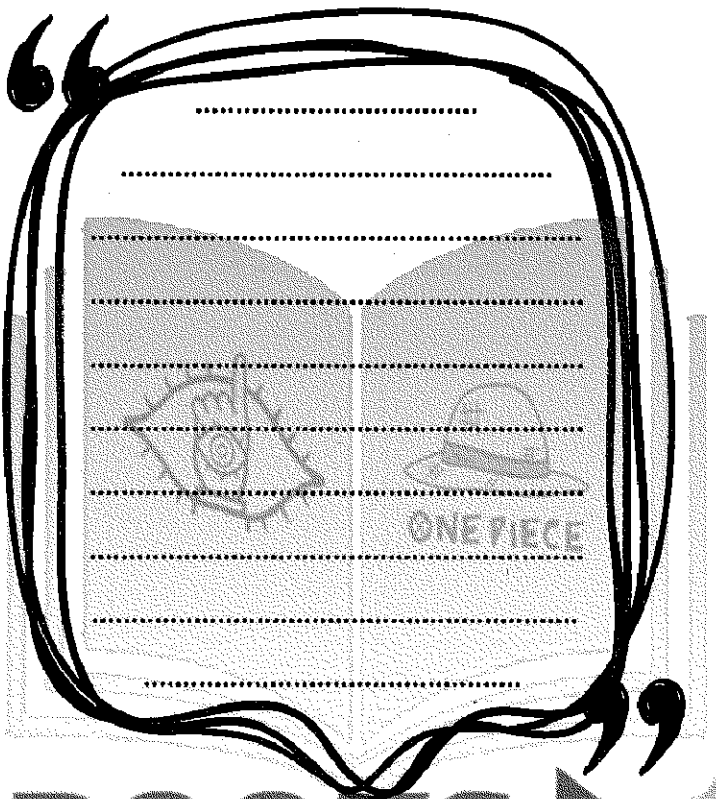
ONE PIECE

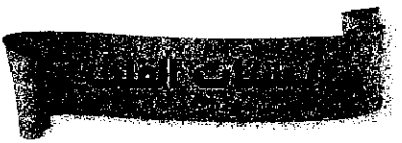

فإن قلب العبد واحد ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾[١]، وإن الرب واحد ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[٢]، وإن الطريق إلى الجنة واحد ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[٣].

فإن كنت واحدًا لواحد على طريق واحد تصل بإذن الله تعالى.

أما لو تعددت طرق السير بنفس القلب في جهات مختلفة، فإن العزم سيتفرق فيضعف سيرُك، وتتأخر عن أقرانك فيقعد القلب والبدن بالشتات.

---

[١] الأحزاب: ٤

[٢] البقرة: ١٦٣

[٣] الأنعام: ١٥٣

وقد يصاب العابد بشتات القلب

- بترك الإخلاص.
- أو باتباع الهوى.
- أو بالانشغال برضا الناس.
- أو بالاستكثار من المباح المُشْغِل.

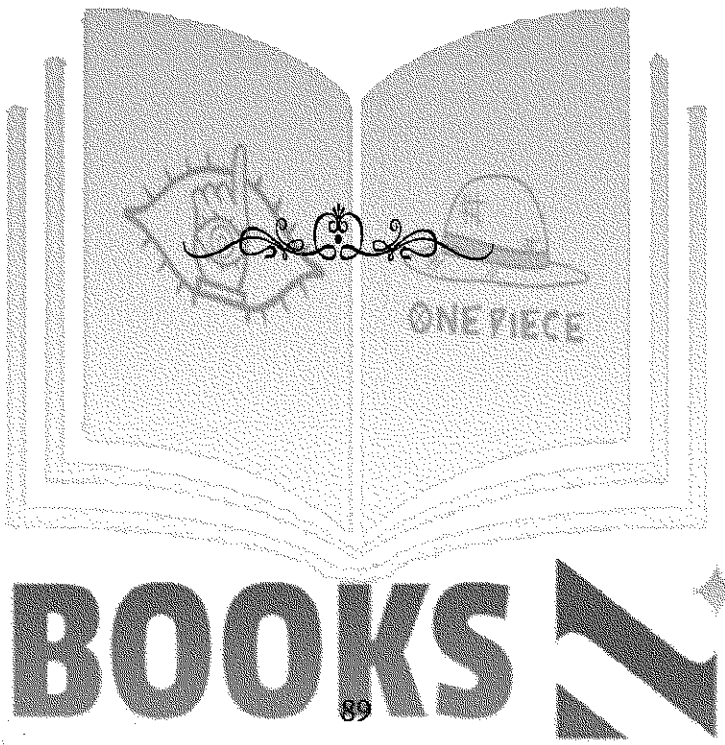

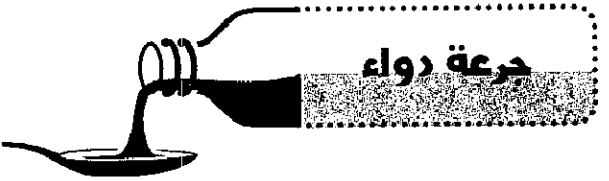

فإن وجدت من نفسك شتّاتا بسبب ترك الإخلاص:

- فإنا قد تكلمنا عن علامات له من قبل، فانظر فيها، فإنها تنفعك بإذن الله، وقد ذكرنا فيه العلاج أيضا فلا تفترعن علاجك.

- واعلم أن الإنسان لا يتحرك إلا لغرض، فإن تحرك لغير الله (وهو المقصود بترك الإخلاص) فإنه يتحرك لأمرين لا ثالث لهما، وهما النقطتان التاليتان: اتباع الهوى، واتباع رضا الناس.

BOOKS

فإن وجدت الشتات بسبب اتباع الهوى:

فاعلم أن الهوى نوعان:

هوى محمود، وهو ما يوافق شرع الله،

وهوى مذموم، وهو المقصود غالبًا حين تُطلق كلمة الهوى، وهو المخالف لشرع الله، المُنسي ليوم الحساب، وقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1].

وبسبب اتباع الهوى ينفر العبد من سنة النبي ﷺ ولا يستجيب لأمره ولا لنهيه، وقد بيّن الله تعالى ذلك حيث قال: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾[2].

---

[1] ص: ٢٦

[2] القصص: ٥٠

واعلم أن الهوى هو الميلُ والمِزاج، فمن تحكَّم فيه ميلُه ومِزاجه فاتَّبعه فيما أَمَرَ ولو كان خلافًا لأمر الله ورسوله ﷺ، فقد اتخذ إلهه هواه، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾[1].

فمن اتبع الهوى، وصار غرضًا لقلبه فإنه سيجد نفسه بين حالتين

١. إما أن يوافق الهوى شرع الله، فيعمل العمل ولا ندري أكان فاعله لله أم لهواه، فإن كان لله فهو مأجور، وإن كان لغير الله فإن كانت عبادة تراد لذاتها ففعلها لغير الله فهو مأزور، وإن كان أمرًا مباحًا فلا شيء يُكتب له ولا عليه.

٢. وإما أن يخالف الهوى شرعَ الله فيحدث الشتات، فقلبه مطيع لهواه، وشرع الله يخالف قلبه فتتفرق القوى بين الشرع والهوى ويضعف العبد.

[1] الجاثية: ٢٣

فإن كان أقربَ لطريق الاستقامة، مُعلَّق القلب بالله، مُحوَّطًا بالصالحين، معتادًا لشرع الله تعالى، خالف هواه لرضا مولاه بتسديد من الله، وإن كان بعيدًا عن طريق الاستقامة، معلق القلب بالدنيا، مُحوَّطًا بغير الناصحين ولو ظهر عليهم بعض الحرص على الدين، معتادًا لإشباع نفسه فحسب، خالف شرع الله ليُرضي نفسه، إلا أن يتداركه الله برحمته فيغير حاله.

فاحرص أخي الكريم على الدعاء بالاستقامة، والثبات على الطاعة، فإن الثبات من عند الله، وقد قال الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾﴾[1].

واحرص على التعلم من شيخ صاحب منهج سني صحيح، لا يُعرف بالتساهل واتباع الهوى وتمييع القضايا، فإن أفسد ما يُفسد قلب الطالب فساد معلمه، وإنَّا لنجد أن تلامذة هؤلاء لا يكادون يخطئون خطاهم بتشربهم منهم.

[1] الإسراء: ٧٤.

BOOKS

وليكن لك صحبة تُعرف بالجد، وعلامات ذلك تظهر في ثباتهم على الصلاح، ودوام عبادتهم، وإقبالهم على العلم، ومخالفتهم لهواهم، وتضحيتهم بشيء من دنياهم، وإنكارهم المنكر، وأمرهم بالمعروف، وعدم موالاة الظالمين.

ولتتحلَّ بالصبر على مخالفة الطبع، واعلم أن لك فيه حالتين:

حالة تدريب وترويض: وهو بفعل الأفعال الجالبة للخُلُق المطلوب سواءً كان تركًا أو فعلاً، وعلى رأسها دوام التقلل من فضول المباحات، والتدرج في زيادة العبادات.

حالة تعبد وامتحان: وهو بصبر على مخالفة ميل الطبع للهوى، ففي الترك تكون بغضّ بصر، أو كظم غيظ، أو ترك غيبة، أو هضم حق النفس، أو عفو عن مسيء، وفي الفعل تكون بزيادة طاعة، وحرص على الصف الأول في الصلاة، وحفظ القرآن، وتعلم العلم، وإخراج الصدقات.

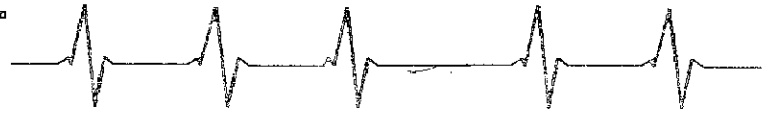

فإن جمعت بين الدعاء بصدق والعلم والمعلم الصالح والصحبة الصالحة والصبر على التدريب، واستعنت بالله في كل ذلك، ثبَّتك الله وقت الاختبار، وتغلبت على الهوى المُشتِّت عن طريق الله بإذن الله.

وإن وجدت الشتات بسبب الانشغال برضا الناس:

فاعلم أنك تبحث عن أكبر وهم في الدنيا، فإن رضا الناس غاية لا تُدرك، فإنهم لم يجتمعوا على رجل قبلك، ولن يجتمعوا على أحد بعدك، ولو كان ممكنًا لأحد لكان النبي ﷺ أولى بهذا منك، ومع ذلك لم ينلها.

والذي يبحث عن رضا الناس، يفقد شخصيته ومبادئه وأهدافه لأنه يقسِّمها ويشتتها على عددهم بطلب رضاهم، ومع ذلك فهو لا يُرضي طرفًا منهم، وقبل كل ذلك فهو لا يُرضي الله تعالى فيخسر كل شيء.

BOOKS

والناس تعادي من يلتزم بالدين بقدر بُعدهم عن الدين وبقدر تمسكه به، ودليل ذلك تجده في أول بعثة النبي ﷺ حين ذهبت به أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها لابن عمها ورقة بن نوفل، وكان امرأ قد تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: «أي عم، اسمع من ابن أخيك»، فقال ورقة بن نوفل: «يا ابن أخي ماذا ترى؟» فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه في الغار، فقال له ورقة: «هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ، يا ليتني فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيًا حين يُخرجك قومك»، فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟» قال ورقة: «نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عُودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا)

فلا تندهش حين تجد أشد الناس مخالفة لك هم أقرب الناس منك، فإن ذلك حاصل غالبًا إن كنت تؤثر على حياتهم الاجتماعية، أو مشتركًا معهم فيها، أما إن كنت ركيك الديانة، وتغيرك غير مؤثر، فاقدًا لهُويتك التي تزعم، مشتتًا قواك

لإرضائهم، فاعلم أنهم غالبًا سيصفونك بالمتدين الوسطي زورًا، وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾[1].

فلما تنازلت لإرضائهم تنازلوا ليرضوك، وشتان بين تنازل وتنازل.

فإن زاد تأثيرك، وكنت من الدعاة إلى الله، فاعلم أن أغلب من دخلت الدنيا قلبه سينصِب لك العداوة، ولن تجد فارقًا كبيرًا بينهم وبين قوم لوط عليه السلام، فقد ذكر الله تعالى مقالتهم في كتابه فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾[2].

فبالله عليك يا أخي، لا تعلّق قلبك بغير الله تعالى، ولا تنشغل إلا به، ولا تبتغِ الجزاءَ في هذه الدنيا، ولا تركن لها ولا لأهلها، وأغمض عيني قلبك عن رؤية الناس، وأغلق سمعه عنهم، وتعلَّم ما يُرضي الله، واعمل به، وادع إليه، واصبر على ما أصبك.

---

[1] القلم: ٩

[2] النمل: ٥٦

واعلم أن الملك ﷻ أقسم فقال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[1]، قال الإمام الشافعي -رحمه الله-: «إنَّها سورةٌ لو لم ينزِل إلى الناسِ إلا هيَ لكفتهُم».

وإن وجدت الشتات بسبب الإكثار من المباحات:

فاعلم أن للقلب قوة، فإن صرفتها لله أنصفتك، وإن صرفتها لغيره أهلكتك، وإن صرفتها هنا وهناك أقعدتك، وانظر إلى قصة «طالوت»، واجعلها لنفسك عبرة، فإن الله تعالى قال: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ﴾[2] أي أن الله سيختبركم بشيء من الدنيا لتثبتوا صدقكم وهو نهر فيه ماء وقت العطش الشديد، ثم بيَّن لهم طالوت قاعدة النجاح، فقال ﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾

---

[1] العصر: ١ - ٣

[2] البقرة: ٢٤٩

أي فمن أقبل على هذا المباح، واستكثر منه، فهذا دليل على عدم الإيمان بي، أما من لم يشرب منه فهو مؤمن بي ومتبع لي ﴿إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ﴾ فاستثنى مَن أخذ من الماء شيئًا قليلاً، ويؤخذ من هذه الآيات أن الاستكثار من المباح يعطِّل في طريق الله، وسنة الله أن أهل الشرف والهمم دائمًا هم الأقل، فلما جاوزوا النهر الذي هو اختبارهم، ووقف الكل في المعركة تمايزوا بحسب إيمانهم الذي دلَّ عليه فعلهم مع الماء، فمن شرب واستكثر رجع وترك المعركة، ومن تقلل منها صبر، ومن امتنع عنها كان أصبر وأقوى، وكذلك في الدنيا فمن استكثر منها أقعدته في معاركها واختباراتها، وكان وصفهم مثل وصف الله لبعض جيش طالوت فقد قال تعالى فيهم ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ فقد ذهبت طاقتهم في اتجاه آخر، فلما طلب منهم أن يتوجهوا إلى المعركة ما وجدوا طاقة يتحركون بها لنصرة الله، ولكن الدنيا، ولله الحمد، لا تخلو من الصالحين ولو قلُّوا، وإن المشهد لم ينتهِ بعد فقد كسر صوتُ النصر صمتَ الخذلان.

ONE PIECE
BOOKS

والصابرون هم أهل الإيمان والصلاح الذين لم يشربوا أو شربوا غُرْفة. وفي النهاية ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾

وكذلك كل نهاية بين الحق والباطل، فإن الله هو القائل: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾[1].

وليس المقصود من الكلام أن تعيش فقيرًا، فإن الفقر لا يُحمد لذاته أبدًا، لذا جعل الله عليه عوضًا في الآخرة لأنه من جملة البلاء، فمن دفعه فلم يندفع، فصبر ورضي وأحسن الظن بربه فإنه لن يضيع أجره، فعن أسامة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (قُمْتُ عَلَى بابِ الْجنَّةِ، فَإِذَا عامَّةُ مَنْ دخَلَها الْمساكِينُ، وأَصْحابُ الْجَدِّ محْبُوسُونَ غيْر أَنَّ أَصْحاب النَّارِ قَدْ أُمِر بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وقُمْتُ عَلَى بابِ النَّارِ فَإِذَا عامَّةُ منْ دَخَلَها النِّسَاءُ)[2].

---

[1] المجادلة: ٢١

[2] رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ فقراءُ المسلمينَ قبلَ أغنيائِهم بنصفِ يومٍ وهو خمسُ مائة عام»[١]،

ولكن المقصود أن تعيش للّه غنيًا كنت أو فقيرًا،

فعن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: «مَرَّ رَجُلٌ علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ، فَقالَ لرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: ما رَأْيُكَ في هذا فَقالَ: رَجُلٌ مِن أشْرَافِ النَّاسِ، هذا واللَّهِ حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ يُشَفَّعَ، قالَ: فَسَكَتَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقالَ له رَسولُ اللَّهِ ﷺ: ما رَأْيُكَ في هذا فَقالَ: يا رَسولَ اللَّهِ، هذا رَجُلٌ مِن فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هذا حَرِيٌّ إنْ خَطَبَ أنْ لا يُنْكَحَ، وإنْ شَفَعَ أنْ لا يُشَفَّعَ، وإنْ قالَ أنْ لا يُسْمع لِقَوْلِهِ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: هذا خَيْرٌ مِن مِلْءِ الأرْضِ مِثْلَ هذا»[٢]، واعلم أن الغنى لا يدخل الجنة، كما أن الفقر لا يُدخل النار، ولكن الذي يُدخل الجنة والنار هو الله بسبب عملك.

---

[١] رواه الترمذي، وصححه الألباني

[٢] رواه البخاري

فقد قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

وقال أيضًا ﴿ فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[2].

وليكن زادك في هذه الدنيا ما يكفيك ولا يضرك ومن تعول، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذ رسولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي فقال: «كُنْ فِي الدُّنْيا كأَنَّكَ غريبٌ، أَوْ عَابِرُ سبيلٍ»[3]، واعلم أنه يكفيك منها ما بيّنه النبي ﷺ فعن عبْدِ الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وهُوَ يَقْرَأُ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ ﴾[4] قَالَ: يَقُولُ ابنُ آدَم: مَالِي! مَالِي! وهَل لَكَ يَا ابْنَ آدم مِنْ مالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟![5].

---

[1] النحل: ٣٢

[2] السجدة: ١٤

[3] رواه البخاري

[4] التكاثر: ١

[5] رواه مسلم

ولا تستكثر من الدنيا لنفسك فيشربها قلبك، وتعيش من أجلها، فإن مالك الحقيقي هو ما ادخرته لنفسك في الآخرة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أيُّكم مالُ وارثِه أحبُّ إليه من ماله؟ قالوا يا رسولَ اللهِ ما منا أحدٌ إلا مالُه أَحَبَّ إليه من مالِ وارثِه فقال رسولُ اللهِ ﷺ اعلَموا أنه ليس فيكم أحدٌ إلا مالُ وارثِه أحبُّ إليه من ماله مالُك ما قدَّمتَ ومالُ وارثِك ما أخَّرتَ»[1].

واحرص على الدعاء بالثبات، وعدم الالتفات للدنيا المُقعِدة، فإن النبي ﷺ كان أحرص الناس على ذلك وهو رسول الله ﷺ. فعن أنس رضي الله عنه قال: كانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ، وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»[2].

---

[1] رواه البخاري

[2] أخرجه الترمذي، وأحمد باختلاف يسير، وابن ماجه، وصححه الألباني

BOOKS

وكن صاحب عزم وهم وصبر، فإن العزم يدفعك لفعل الخيرات، والهم بالآخرة يجمع شمل قلبك عليها، والصبر يثبت قدميك عن الرجوع.

واصحب الصالحين وأهل الزهد والورع، وتسابق معهم، وكن من أول السائرين وعلى رأس المتنافسين في الطريق إلى الله تعالى، فإن المسابقة تزيد الحماس،

وقد قال الله تعالى:

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[1].

وإن ابتليت بالمال والغنى، فلا تكن بخيلاً، فإن الكرم زينة الرجال في الدنيا، وخُلق أهل الصلاح في الآخرة، ولا تكن متكبرًا، فإن المال الذي أعطاك الله بلا استحقاق قد يأخذه منك باستحقاق، ثم إنه اختبار فلا يجرك إلى الاستعلاء، بل كن صاحب فطنة، وكن من العقلاء.

---

[1] البقرة: ١٤٨

فعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ، رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ»[1].

فاعرف لله حقه في مالك، واجعله خادمًا لك، ولا تكن خادمًا له، وليكن في جيبك لا في قلبك،

قال الله تعالى: إن يجتمع مع غيره في قلب فهو كفر

[1] رواه البخاري، ومسلم واللفظ له

قرارات

ONE PIECE
BOOKS

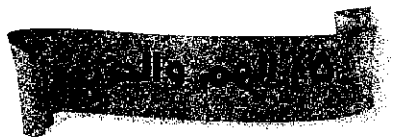

وهي كآبة تضرب القلب، وسواد يحيط بالنفس، وألم يُنهك الجسد، فلا يقوى العبد على التفكير الصحيح، ولا يجد مطلق العزم، فيشعر وكأنه بناء قد انهدم، وجيش قد انهزم، فألمُ نفسه قد سار لجسده فشُلت مفاصله.

والفرق بين الهم والحزن أن الحزن ألم على ما فات في الماضي، أما الهم فألم على ما يتوقعه في المستقبل.

* **وقد يصاب العابد بالحزن إذا فقد ما كان محبوبًا، أو عجز عما كان مقدورًا.**

* وقد يصاب بالهم إذا خاف من عدم حصول غايته أو خاف زوال نعمته.

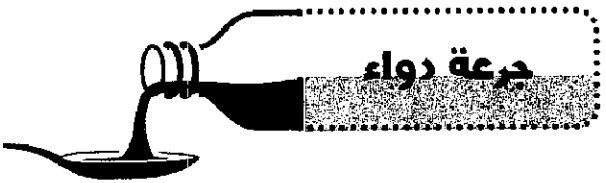

فإن كان الحزن بسبب فقد محبوب أو العجز عما كان مقدورًا:

فإني أعلم أن الأمر مؤلم وأنك تتوجع، ولكن من قال لك إن دنيا أحد تخلو من البلاء والألم، فكلنا هذا الرجل الذي ينزل عليه البلاء تلو البلاء، وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

وعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟، قَالَ: «الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ،

[1] الأنبياء: ٣٥

وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ»[1].

وقيل:

ثَمَانِيَةٌ تَجرِي عَلَى النَّاسِ كُلِّهِم ... وَلا بُدَّ لِلإِنسَانِ يَلقَى الثَّمَانِيَهْ

سُرُورٌ وَحُزنٌ وَاجتِمَاعٌ وَفُرقَةٌ ... وَيُسرٌ وَعُسرٌ ثُمَّ سُقمٌ وَعَافِيَه

وإني طالب منك أن تنظر فيمن حولك دقيقة، وستجد أن ما فقدته أهون بكثير مما فقده غيرك، فالحمد لله الذي قدَّر ولطف.

ثم إنك لا تدري لعل البلاء الذي آلمك خير لك وأنت لا تعرف، يُحكى أنه كان لملك وزير يتمتع بحكمة كبيرة، ويثق أنّ كل ما يقدّره الله للإنسان هو خير، وفي يوم من الأيام خرج الملك برفقة الوزير للصيد، وأثناء مسيرهما وقع الملك في إحدى الحفر العميقة، فقال له الوزير (**لعلّه خير**).

---

[1] رواه الترمذي، وصححه الألباني

ثمّ جُرح الملك في يده وإصبعه، فذهبا إلى الطبيب وأمر بقطع الإصبع حتّى لا يتضرر باقي الجسم بسببه فقال الوزير **(لعله خير)**، فغضب الملك غضبًا شديدًا، ورفض الخضوع لأمر الطبيب، إلّا أنّ إصبعه لم يتوقف عن النزيف مما أجبره على قطع إصبعه، فقال له الوزير (لعلّه خير)، فسأل الملك الوزير **(وما الخير في ذلك، أتتمنى أن ينقطع إصبعي؟!)** وغضب بشدّة، وأمر حرّاسه بالقبض على الوزير وحبسه، فقال الوزير: **(لعلّه خير)**، وقضى الوزير فترة طويلة داخل الحبس. وفي يوم من الأيام خرج الملك للصيد مصطحبًا معه حرّاسه، فوقع في يد جماعة يعبدون الأصنام، وقد أخذوه بهدف تقديمه قربانًا للأصنام التي يعبدونها، وعندما عرضوا الملك على قائدهم وجد إصبعه مقطوعة فأمر بتركه وإعادته من حيث أتى، وذلك لأنّ القربان يجب أن يكون صحيحًا بغير علة، ثمّ عاد الملك إلى القصر مبتهجًا لنجاته من الموت بأعجوبة، وطلب من الحرّاس أن يحضروا الوزير إليه، ثمّ أحضروه، وروى الملك إليه ما حدث معه، واعتذر إليه عمّا بدر منه.

ONE PIECE
BOOKS

ثمّ سأله عن سبب قوله (لعلّه خير) عندما أمر الحرّاس بأن يسجنوه، فأخبره الوزير الحكيم أنّه لو لم يحبسه لكان اصطحبه معه في الصيد كما يفعل عادة، وسيكون قربانًا للأصنام بدلًا منه،

وأخبره الوزير:

أنّ الله عندما يأخذ من الإنسان شيئًا فإنّ الإنسان عادة يظنها محنة إلا أن الأمر قد يكون منحة وهو لا يدريه،

فضرح الملك كثيرًا وقال: (لعلّه خير).

فاملأ قلبك بحب الله تعالى ومعرفته، واملأ عمرك بالإقبال على طاعته وقرباته، واجعل الآخرة همك يهون عليك أمر الدنيا، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[1].

---

[1] رواه الترمذي وابن ماجه، وصححه الألباني.

واعلم أن أولياء الله يبصرون الدنيا بعينه، وقد قال الله تعالى عن وليه الذي يحبه: «فإذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بِهِ، وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ»[١]، فمن كان من أولياء الله رأى الدنيا على حقيقتها عند الله، وعن سَهْلِ بنِ سَعْدٍ السَّاعديِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّه ﷺ: «لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّه جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْها شَرْبَةَ مَاءٍ»[٢]، فكن وليًا لله تعالى بطاعتك وصلاحك وإيمانك، وقد قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[٣].

---

[١] فعن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عادى لِي وَلِيًّا فقدْ آذنتُهُ بالحَرْب. وَمَا تقرَّبَ إِلَيَّ عبْدِي بِشَيءٍ أَحبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْت عليْهِ: وَمَا يَزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إِلى بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّه، فَإِذا أَحبَبْتُه كُنْتُ سمعهُ الَّذي يسْمعُ بِهِ، وبَصره الَّذِي يُبصِرُ بِهِ، ويدَهُ الَّتي يَبْطِش بِهَا، ورِجلَهُ الَّتي يمْشِي بِهَا، وَإِنْ سألَني أَعْطيْتُه، ولَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَّنه. رواه البخاري.

[٢] رواه الترمذي، وصححه الألباني

[٣] يونس (٦٢، ٦٣)

وإن فقدت محبوبًا أو عجزت عن مقدور، فلا تظن أنك لن تتألم الألم الطبعي، فإنك لن تخرج بولايتك عن حد البشرية، ولكنك ستتحمل أكثر من غيرك لقوة قلبك، وتتعافى أسرع من غيرك أيضًا.

لذا أنصحك ألا تجعل للفراغ في حياتك مسلكاً، فإن الوقت الفارغ هو فرصة الأفكار والمشاعر السلبية لتنقض عليك فتُهلك عزمك.

فكن مشحون الجدول اليومي بمهام كثيرة متنوعة فيها اختلاط بالصالحين، وإنجاز للأهداف، وصلة للأرحام، ولا تجلس على سرير نومك إلا وقد اشتكى جسدك من التعب، فما أن تضع رأسك على الفراش إلا وتنام، فيأتي يوم جديد تبدأه بصلاة الفجر فتصبح نشيط النفس مقبلاً على مهامك، فإن صبرت على هذه الحياة كما ينبغي تراجعت الأفكار والمشاعر السلبية من حياتك، وأخذت مكانها كذكريات مؤلمة، فإن نظرت إليها وتفكرت في دروسها استفدت منها، وأصبحت من أهم دروس حياتك.

وإن نظرت في الحكمة منها فستجد أن المستحيل كان أقرب لك مما وصلت إليه من إنجاز بسبب هذا البلاء، وهناك ستقول:

(فاتني أن أقول حينها لعله خير).

وإن كان الهم بسبب الخوف من عدم تحقق غاية أو زوال نعمة:

فاعلم أن الخوف من المستقبل إما أن يُقصد به **المستقبل في الدنيا أو يُقصد به المستقبل في الآخرة**، فإن كان يُقصد به الدنيا فاعلم أن هذا الخوف قد يكون إيجابيًا إن كان يدفعك لمزيد من الحرص في التخطيط والدقة والنشاط في التنفيذ، ولا يؤثر في التوكل على الله وضمان الرزق منه، أما إن كان خوفك مُقعدًا لك عن العمل، أو مُضعفًا للتوكل، دافعًا لسوء الظن بالله، فهذا خوف مذموم، وإن كان يُقصد بالمستقبل الآخرة فأيضًا إن كان خوفك يدفعك لمزيد من العبادة أو لترك المعاصي فقد قال الله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

[1] الرحمن: ٤٦

أما لو كان خوفك مُقعدًا عن العمل

كأن تقول (الله لن يغفر لي، إذن سأترك العمل الصالح)،

فهذه إساءة ظن بالله ويأس من رحمته،

وقد قال الله تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام:

﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾[1].

واعلم أن الله يختار لك أفضل ما يُصلحك وهو العليم الحكيم، وقد قال عمر رضي الله عنه «لو عُرضت الأقدار على الإنسان لاختار القدر الذي اختاره الله له»، فما عليك إلا التعرف على الله تعالى لتتيقن فيه وفي رحمته وتدبيره وحكمته، فإن فعلت سهل عليك التوكل عليه والاطمئنان لتقديره، ثم تخطط لما أردت إنجازه بما يناسب مواهبك وطبيعة حياتك، ثم تأخذ بأسباب تحقيق غايتك، وتسير في الخطة خطوةً خطوة سواء كانت دنيوية مثل الزواج والنجاح الدراسي،

---

[1] يوسف: ٨٧

أو أخروية مثل مغفرة الذنوب وبلوغ الفردوس الأعلى، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال، قال ﷺ: «قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ: أعقِلُها وأتوكَّلُ أو أُطلقُها وأتوكَّلُ قال: اعقِلها وتوكَّلْ»[1]

وكن مطمئن القلب لأن الأقدار بيد الرحيم، والأرزاق بيد القوي، فلن يأخذ أحد رزق أحد، ولا يقطع أحد رزق أحد، وقد صح عن أَبِي أمامة أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «إنّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ في رُوعِي أنّ نَفْسًا لنْ تَمُوتَ حَتّى تَسْتَكْمِلَ أجَلَها وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَها، فاتّقُوا الله وأجْمِلُوا في الطَّلبِ، ولا يَحْمِلنَّ أحَدَكُمُ اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ أنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ الله، فإنّ الله تعالى لا يُنالُ ما عِنْدَهُ إلاّ بِطاعَتِهِ»[2].

وقال الحسن البصري:

«علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي، وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي، وعلمت أن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني عاصيًا، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء ربي».

[1] رواه الترمذي، وحسّنه الألباني

[2] رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وصححه الألباني

واعلم أن زوال النعمة لا يكون إلا بعدم شكرها، وشكرها لا يتم إلا بالاعتراف بها بالقلب والثناء على الله بها باللسان، واستخدامها في طاعته بالجوارح، فإن فعلت فإن الله تعالى قال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[1]، وإن لم تفعل فاعلم أنها إما إلى زوال، أو ينغص الله عليك بها عيشك، فلا تحمل هم بلاء لم يحدث فيحدث، فإن الرجل إذا تمارض مرض، ولكن أبشر بالخير تجده، وقم بحقه تثبته.

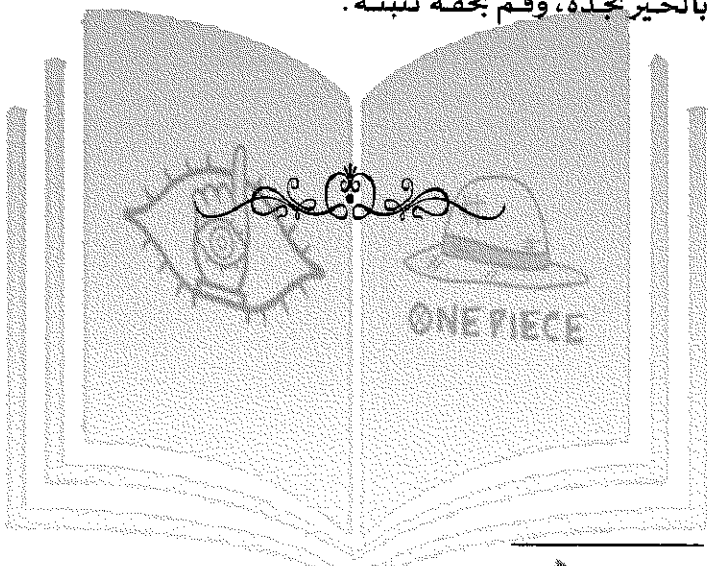

[1] إبراهيم ٧

قرارات

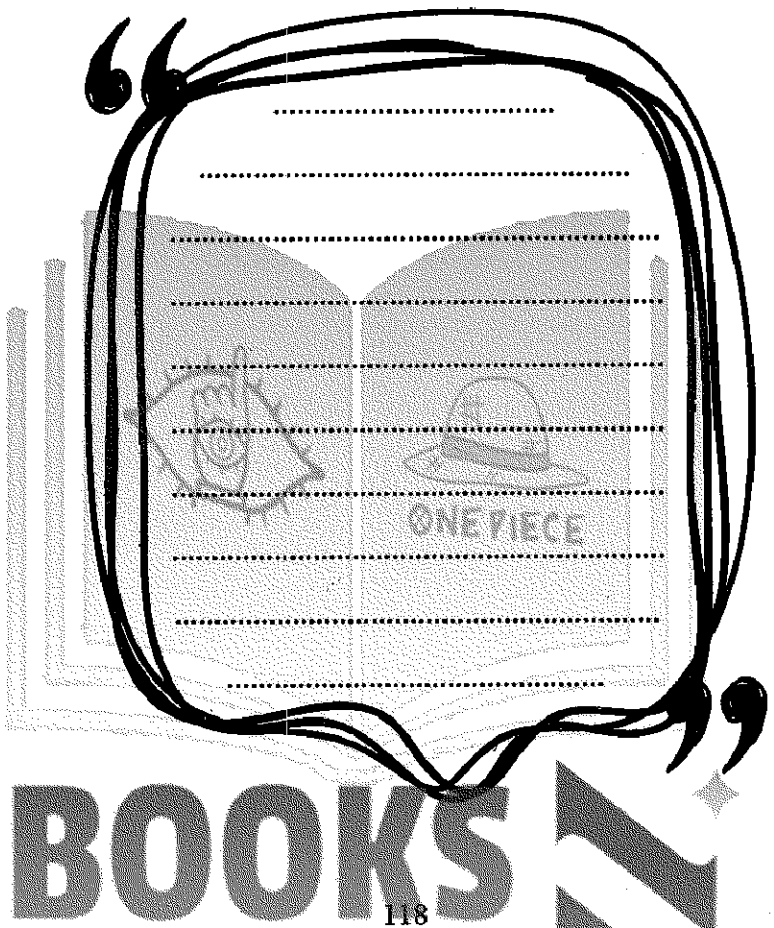
ONE PIECE
BOOKS

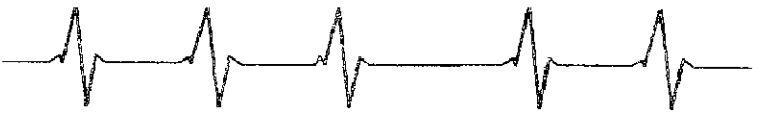

٢- التوبة

إن كل بني آدم خطاء غير معصوم [١]

وقد قال ﷺ: "كلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاء، وخيرُ الخَطَائين التوابون»[٢]،

فما من إنسان إلا وله ذنب في حياته،

فإن أكْثَرَ اقترافه لضعف نفسه وعدم

مقاومتها، فإنه يشوّه قلبه شيئًا فشيئًا،

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[٣]،

---

[١] إلا ما استثني عند الأنبياء والرسل.

[٢] رواه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي، وأحمد، وصححه الألباني

[٣] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح، وحسّنه الألباني

BOOKS

فإذا تشوه القلب بأثر الذنوب، نفرت الطاعات من السكون فيه، فيضعف عنها ويفترقيها،

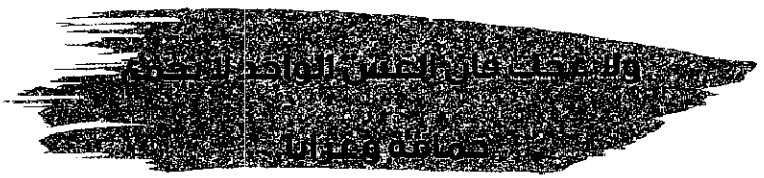

وقد يضرب الفتور القلب بسبب:

- الإصرار على ذنب ولو كان واحدًا.
- أو بدوام الإسرار بمعصية في الخلوات.
- أو بالمجاهرة بالمخالفات بين الناس.
- أو بكثرة رؤية المخالفات من المحيطين مع عدم الإنكار عليهم.

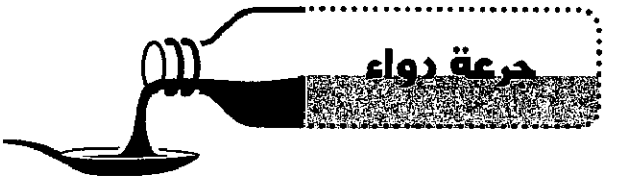

فإن كان الفتور بسبب الإصرار على معصية:

فاعلم أن كل إنسان له وجهة، فإذا توجه بها إلى الله تعالى صعب عليه أن يتوجه للاتجاه المعاكس، ولكن ما من عبد إلا وله لحظة غفلة أو نسيان يقع فيها أحيانًا في الخطيئة، ولكنك تجد المؤمن المسارع في الخيرات إذا وقع في ذنب سرعان ما يقوم منه، فيكون ذنبه مؤخِّرًا له، فإذا قام قام قومة الغاضب ليعوّض ما تأخره، أما غيره ممن يُصر على ذنبه أو ذنوبه ولا يتوب منها، فإن ذنبه في قلبه يدفعه إلى اتجاه غير اتجاه طاعة الله، وطاعة قلبه تدفعه للاتجاه الآخر، فيُقعده النزاع، وعلى كثرة جهده فإنه يكاد لا يتقدم في طريق الله إلا قليلاً.

وقد ذكر ابن القيم من عقوبات الذنوب ما نصه: «وَمِنْ

BOOKS

عُقُوبَتِهَا: أَنَّهَا تُضْعِفُ سَيْرَ الْقَلْبِ إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ، أَوْ تَعُوقُهُ أَوْ تُوقِفُهُ وَتَقْطَعُهُ عَنِ السَّيْرِ، فَلَا تَدَعُهُ يَخْطُو إِلَى اللَّهِ خُطْوَةً، هَذَا إِنْ لَمْ تَرُدَّهُ عَنْ وُجْهَتِهِ إِلَى وَرَائِهِ، فَالذَّنْبُ يَحْجِبُ الْوَاصِلَ، وَيَقْطَعُ السَّائِرَ، وَيُنَكِّسُ الطَّالِبَ، وَالْقَلْبُ إِنَّمَا يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ بِقُوَّتِهِ، فَإِذَا مَرِضَ بِالذُّنُوبِ ضَعُفَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي تُسَيِّرُهُ، فَإِنْ زَالَتْ بِالْكُلِّيَّةِ انْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ انْقِطَاعًا يَبْعُدُ تَدَارُكُهُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ»[1].

فمن استفاق لنفسه فليعلم أنه عبد،

ولا ينبغي للعبد أن يتعمد المعارضة والمخالفة،

فإذا وقع فيها أسرع في التوبة منها،

وتذكر دائما أن إبليس خرج من الجنة بمخالفة لم يتب منها فلن يعود إليها أبدًا، وإن آدم خرج منها أيضًا بمخالفة، ولكنه تاب منها فسيعود إليها[2]، وتذكر أيضا أن الله أثنى على أهل الإيمان ولم يصفهم بالعصمة،

---

[1] الجوابُ الكافي لِمَن سأل عن الدَّواءِ الشَّافي، لابن قيم الجوزية

[2] وليس المقصود أن ثمة ذنب سبب في الخلود في جهنم إلا الشرك الأكبر، إنما المقصود فقط ذكر خطر ترك التوبة من الذنوب، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: "أتيتُ النبيَّ ﷺ وعليه ثوبٌ أبيضُ، وهو نائمٌ، ثم أتيتُه وقد استيقظَ، فقال: ما من عبدٍ قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ثم ماتَ على ذلك إلا دخلَ الجنةَ. قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟ قال: وإن زنى وإن سَرَقَ. قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟ قال: وإن زنى وإن سَرَقَ. قلتُ: وإن زنى وإن سَرَقَ؟ قال: وإن زنى وإن سَرَقَ على رَغْمِ أنفِ أبي ذرٍّ. وكان أبو ذرٍّ إذا حدث بهذا قال: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذرٍّ" رواه البخاري

BOOKS

بل وصف حالهم بعد الذنب كبيرًا كان أو صغيرًا، فقال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾[1].

فاذكر الله، وانظر كم أنعم عليك من نعم، واذكر الله، واذكر نظره إليك وقدرته عليك، واذكر الله واذكر غفرانه لمن أقبل عليه تائبًا، واذكر الله يذكرك،

فقد قال الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾[2].

ولا تنس ربك فإنه القائل أيضًا ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾[3].

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[4].

---

[1] آل عمران: ١٣٥

[2] البقرة: ١٥٢

[3] التوبة: ٦٧

[4] رواه البخاري ومسلم

ولا تجعل ذكرك لله ذكر لسان فقط، بل يجب عليك أن تمرره لقلبك، فإنه إن وصل إليه أرسل للجوارح فأمرها بالتقوى، وللذكر أثر لا يضاهيه غيره، فإنك إن ذكرت ربك كما ينبغي تُبت كما ينبغي أيضًا، وندمت على بعدك عنه، وأقلعت عما حذرك منه، وعزمت على ترك الذنوب بأسبابها، فلا تترك في حياتك بابًا ولا طريقًا ولا صاحبًا كان سببًا لعصيانك إلا اجتنبته.

وينبغي عليك أن تعرف مواطن ضعفك، لتحترز منها أكثر من غيرها، فإن الناس لا يتساوون في ضعفهم أمام كل الفتن، فلعل فتنة المال أشد عليك من فتنة النساء، وكلاهما فتنة، ولعل فتنة الحسب واحتواء المشاعر لكِ أشد من فتنة إظهار الجمال والزينة، وكلاهما فتنة.

واصبر على ترك المعاصي وأسبابها، فإن الترك يوجب الألم، ولكن من احتمل ألم فراق العادة خلص منها ومن الألم، ومن استسلم فرجع إليها فلن ينفعه الندم ولن يفارقه الألم.

وأكثر من العمل الصالح، واشغل نفسك بالإقبال على الله، فنفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وإن لم تقربها بالطاعة أبعدتك بالمعصية، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[1].

ولا تيأس من توبتك، وإن عدت إلى الذنب مرارًا طالما تعزم بصدق على التوبة وقت انعقادها.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ فيما يَحْكِي عن ربِّهِ تَبارَكَ وَتَعالى قالَ: أذنب عبدٌ ذَنْبًا فقالَ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالى: أَذْنَبَ عبدي ذَنْبًا، فَعلِم أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقالَ: أَيْ ربِّ اغْفِرْلِي ذَنْبِي، فَقالَ تبارك وتعالى: أَذْنَبَ عبدِي ذَنْبًا، فَعلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أي رَبِّ اغفِرْ لِي ذَنبي،

[1] آل عمران: ١٣٣

فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبدِي ذَنبًا، فعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنبِ، قد غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ[١].

ولا يَغرنك هذا الحديث فتتلاعب بالتوبة، فإن الله لا يُخادع، والتوبة لا تصح إلا من عبد عزم ألا يعود للذنب أبدا، فلا تبخل على نفسك فتضر نفسك وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[٢]

وإن كان الفتور بسبب معصية في الخلوات:

فاعلم أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وماحقة الحسنات، فعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا.

---

[١] رواه مسلم

[٢] النساء: ٢٧

قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»[١].

وقد يفضح الله المتمادي في السر المغرور بستر الله عليه، فلا تجازف بنفسك، وقد قال رسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، لَيْسَ لَهَا بَابٌ وَلاَ كُوَّةٌ، لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ»[٢]. قال ابن الجوزي رحمه الله: «والحذر الحذر من الذُّنُوب خصوصًا ذنوب الخلوات، فإن المبارزة لله تعالى تُسقِط العبد من عينه سبحانه».

فإن وجدت من نفسك ضعفًا في الخلوة، فأقلل منها طالما أنها نقطة ضعفك، وكن بين الصالحين دائمًا تقوم بهم، وأكثر من دعاء الله تعالى ليخلصك من ذنبك، فقد كان من دعائه ﷺ «وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة»[٣].

---

[١] رواه ابن ماجه، وصححه الألباني

[٢] رواه أحمد وابن حبان والحاكم، وضعفه الألباني

[٣] رواه النسائي، وصححه الألباني

BOOKS

فإن خلوت اضطرارًا، فلا تجعل في مكان خلوتك أسباب الذنب متاحة، واستحضر نظر الله إليك حينها، فإنك إن لم تكن تراه فهو يراك، وذكر نفسك بقول الله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾[1]، وتذكر وقوفك بين يديه في الآخرة، فقد قال النبي ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه ربُّهُ، ليس بينَه وبينَه تُرجمانٌ، ولا حجابٌ يحجبُه»[2].

فإن وجدت من نفسك ميلاً لفعله بعد كل ذلك فاخرج من الخلوة فورًا إن استطعت.

وإن وقعت في الذنب، فلا تتمادَ لعلك تتوب منه قبل أن تكمله، فإن أكملته فلا تمر عليك ساعة إلا وأنت تائب منه نادمًا عليه، فإن المؤمن لا يصر على مخالفة الله أبدًا.

---

[1] العلق: ١٤

[2] رواه البخاري

واجعل لنفسك نقاطًا زمانية مرحلية تُجزِّئ بها الطريق، فقل مثلاً: سأراقب نفسي لمدة أسبوع فلا أفعل الذنب، فإذا مرت، قلت أسبوعين، فإذا مرت، قلت شهرًا، ثم شهرين ثم ثلاثة أشهر ثم أربعة أشهر، حتى تنسى الذنب لطول هجرك له.

واعلم أن الثبات على الطاعات في الخلوات أعظم علامات الصدق، فلا تختر لنفسك أقل من أعلى الدرجات،

وقد قال مُطَرِّف بن الشِّخّير:

«إذا استَوَتْ سريرة العبد وعلانيته؛ قال الله عزَّ وجلَّ: هذا عبدي حقًّا»[1]

[1] الزهد للإمام أحمد بن حنبل

وإن كان الفتور بسبب ذنب تجاهر به بين الناس:

فاعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلُّ أُمَّتي مُعافًى إلا المجاهرين، وإنَّ من الجِهارِ أن يعملَ الرجلُ بالليلِ عملًا ثم يُصبِحُ وقد ستره اللهُ تعالى فيقولُ: عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد بات يسترُه ربُّه، ويُصبِحُ يكشفُ سِترَ اللهِ عنه»[1].

والمعافى: هو من كان عِرْضه في عافية، لأن المجاهر بالذنب يباح ذكره بما فيه من الفسوق المعلن.

ويحمل أيضًا المعافى: معنى من يعفو الله عنه، فإن الستر من علامات العفو، والمجاهرة من علامات العقوبة، فعن صفوان بن محرز المازني قال: «بينما أنا أمشي، مع ابنِ عُمرَ رضِيَ اللهُ عنْهما آخِذٌ بيدِهِ، إذْ عرَضَ رجُلٌ، فقال: كيفَ سَمِعْتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ في النَّجْوى؟

---

[1] رواه البخاري، ومسلم

فَقالَ: سَمِعْتُ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: إنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عليه كَنَفَهُ ويَسْتُرُهُ، فيَقولُ: أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيَقولُ: نَعَمْ أيْ رَبِّ، حتَّى إذَا قَرَّرَهُ بذُنُوبِهِ، ورَأَى في نَفْسِهِ أنَّه هَلَكَ، قالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ في الدُّنْيَا، وأَنَا أغْفِرُهَا لكَ اليَومَ، فيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وأَمَّا الكَافِرُ والمُنَافِقُونَ، فيَقولُ الأشْهَادُ:

﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾[1].

واعلم أن العبد الذي يجاهر بالذنب ما تجرأ على ذلك إلا لأمنه العقوبة، فاحذر على نفسك فإن زوال العافية موجع، وقد ذكر ابن القيم رحمه الله من عقوبات الذنوب: «أنَّها تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ العَبْدِ نِعْمَةٌ إلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إلَّا بِذَنْبٍ»، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إلَّا بِتَوْبَةٍ».

---

[1] رواه البخاري

وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

واعلم أن الإعلان بالمعصية قد يكون أكبر من المعصية نفسها،

وقد قال ابن بطال:

«في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله، وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف»[2].

فتَبَيَّن خطر مخالفتك، وتب منها، فإن الله تعالى قال

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[3].

واعلم أن الذي يعلن بالمعاصي غالبًا يصحب غير الناصحين،

فلا تصاحب إلا من يدفعك للخير ويزجرك عن الشر، فإن المرء على دين خليله، وقد قال العالم لقاتل المائة نفس حين أراد أن يتوب

---

[1] الشورى: ٣٠

[2] فتح الباري

[3] الزلزلة: ٨

(انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء)[1]

واحرص على طلب النصح من الغير، وحضور مجالس الوعظ التي تذكِّر العبد بعقوبة المجاهر، وتذكر له حال الأمم التي سبقت لعله يعتبر بمن قبله ويخاف، فتب لله توبة نادم، فقد قال النبي ﷺ «الندمُ توبة»[2].

---

[1] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة، فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة، فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملَكٌ في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة" قال قتادة: فقال الحسن: ذُكِرَ لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره .رواه مسلم.

[2] رواه أحمد وصححه الألباني

وإن كان الفتور بسبب كثرة رؤية المخالفات من المحيطين مع عدم الإنكار عليهم:

فاعلم أنك لا شكَّ مار على المنكرات في حياتك شئتَ هذا أم أبيت، والمار على المعصية إما أن ينكر فيكون ناصحًا، وإما أن يجلس فيكون مشاركًا، وإما أن يسكت فيكون داعمًا؛ لذا فإن المرور على المنكرات مع عدم الإنكار عليها من علامات الهلاك، كما أن مباشرة المنكرات هي الهلاك نفسه، فعن ابن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّه كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ اللَّه وَدَعْ مَا تَصْنَعُ، فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُم يَلْقَاهُ مِن الْغَدِ وَهُو عَلَى حالِهِ، فَلا يَمْنَعُه ذلِك أَنْ يكُونَ أَكِيلَهُ وشَرِيبَهُ وقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ،

ثُمَّ قَالَ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ..﴾ إلى قوله: ﴿... فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾[1].

وفي لفظ الترمذي: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ في مَجَالِسِهِمْ، وَوَاكَلُوهُمْ، وَشَارَبُوهُمْ، فَضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعتَدُونَ، فَجَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ وكان مُتَّكِئًا فَقَالَ: لا والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى تَأطِرُوهُمْ عَلَى الحَقِّ أطرًا».

[1] المائدة: ٧٨-٨١

واعلم أنه لا يجوز لك أن تجلس مجلس لهو إن كان فيه ما يُغضب الله، أو كان في أماكن تُعرف بالشر وانتشار المخالفات، فإن ابتُليت بذلك فانصح وانصرف وإلا كانت العقوبة على الجميع نازلة، كما اشترك الجميع في المخالفة بفعل الإثم وترك النصح، فعَنْ حُذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بالْمَعْرُوفِ، ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْلَيُوشِكَنَّ اللَّه أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجابُ لَكُمْ»[1].

وقد ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أربع مراتب للإنكار على المنكر:

- **المرتبة الأولى:** أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت هذا المنكر أن يحلَّ محله معروف.
- **المرتبة الثانية:** أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت المنكر أن يخف المنكر.
- **المرتبة الثالثة:** أن يتساويا، أي بمعنى أنه قد يترك المنكر الذي هو واقع فيه، لكن ينتقل إلى منكر يساويه.

---

[1] رواه الترمذي وَقالَ: حديثٌ حسنٌ، وحسنه الألباني

✦ **المرتبة الرابعة**: أن ينتقل من منكر إلى ما هو أشد وأنكى منه[1]

فأما المرتبة الأولى والثانية فواجب عليك فيهما النصح، وأما الثالثة فمحل اجتهاد، وأما الرابعة فيحرم فيها الإنكار لما فيها من الضرر.

ولا تكن نفسك أعز عليك من شرع ربك ودينك، فإن بعض الناس يترك النصح خشية الإحراج من الناس، فينبغي عليك أن تكون من الله أخشى، وعلى دينك أغير، فإن الله وَصَفَنا بخير أمة بذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[2]، إلا أن يكون ضررًا معتبرًا متحققًا من الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة، فينظر في المعارض له، فإن كان الذي يفوت من المصالح، أو يحصل من المفاسد أكثر، لم يكن مأمورا به؛ بل يكون محرما، إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته)[3].

---

[1] إعلام الموقعين لابن قيم الجوزية

[2] آل عمران: ١١٠

[3] مجموع الفتاوى، لابن تيمية

وإن ابتليت بالذهاب لمكان مضطرًا وكنت لا تقدر على حصر المنكر ولا على نصح أهله فلا تدخل إلا منكرًا بقلبك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن رأى منكُم منكرًا فليغيرهُ بيدِهِ، ومن لم يستَطِعْ فبلسانِهِ، ومن لَم يستَطِعْ فبقلبِهِ وذلِكَ أضعفُ الإيمانِ»[1]، ولا تدخلها إلا مسرعًا لحاجتك، غاضًا لبصرك، شاغلاً نفسك بذكر ربك، ولا تُطِل مكثك فوق حاجتك، فإن وقع نظرك على معصية فاحمد الله على العافية، واسأل الله الثبات، وادع الله لصاحبها بالهداية، فعن أبي الدرداء، قال النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ، قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ»[2].

وعلى الرغم من تغير قلبك لما تراه من معصية الله تعالى إلا أنك ستجد دفء الطاعة وبركة الأجر ينزل عليك إن التزمت الذكر والشكر على العافية والنصح مع القدرة.

---

[1] رواه مسلم

[2] رواه مسلم

فعن مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «العِبَادة في الهَرْج كهجرة إليَّ»[1]، وما بالك برجل هاجر إلى رسول الله ﷺ.

كانت هذه جملة مختصرة من أسباب الفتور تداخل عرض أسبابها الطبعي والفعلي مع جملة من الإرشادات تحت كل سبب، فلا تمر عليها مرورًا سطحيًّا، واغتنم الفائدة بجد لتعمل بها فيما بقي من حياتك، فإنك اليوم هنا وغدًا هناك، وقد قال رسول الله ﷺ: (اغتنمْ خمسًا قبل خمسٍ شبابَك قبل هرمكَ وصحتَك قبل سَقمِكَ وغناكَ قبل فقرِك وفراغَك قبل شغلِك وحياتَكَ قبل موتِكَ)[2].

[1] رواه مسلم

[2] رواه الحاكم، وصححه الألباني

قرارات

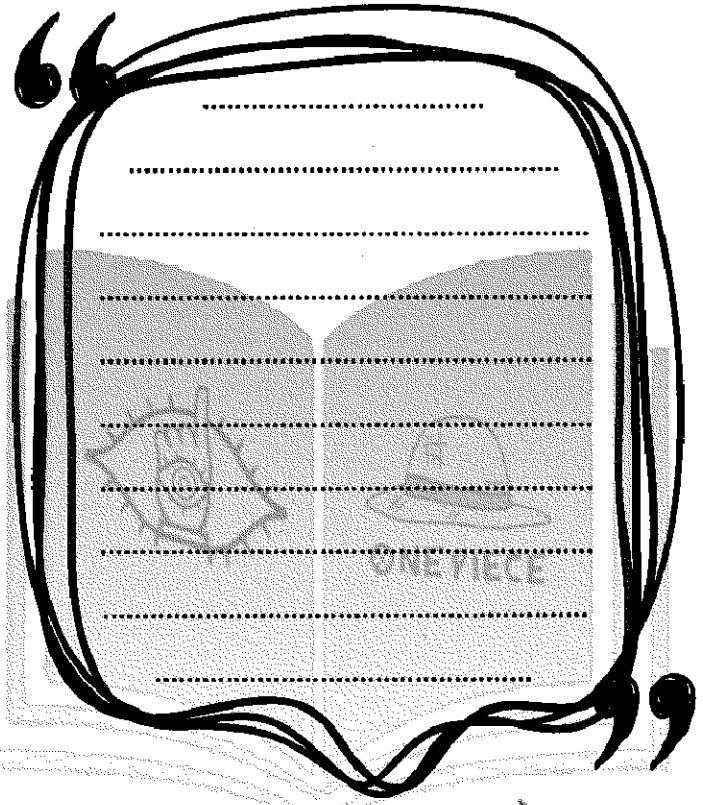

بناء سياج الحماية

ليس المقصود من بناء سياج الحماية هو ألا تفترفي حياتك فإن ذلك مستحيل،

ولكن المقصود أربعة أمور:

الأول: أن تؤخر حدوث الفتور الطبعي.

والثاني: أن تمنع بقدر طاقتك الفتور الفعلي.

والثالث: أن تخرج منه إذا أُصبت به بسرعة وأمان.

والرابع: أن تُطيل المدة الزمنية بين الإصابتين قدر المستطاع.

فاحفظ معي ما أرشدك إليه، والتزم بأحسنه، واصبر عليه تصل بإذن الله.

الدعاء

إن الهداية والثبات من الله، وإن عطاء ربك في قول كن، فإياك أن تنسى الدعاء فإن الله ﷻ قال ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[1]،

ولذلك كان من وصايا النبي ﷺ الدعاء بتجديد الإيمان، فقال ﷺ: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُم»[2]، وكان من وصاياه لابنته فاطمة رضي الله عنها الدعاء أيضًا فقال لها: ﷺ «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ، أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[3]

---

[1] غافر: ٦٠

[2] رواه البخاري، ومسلم

[3] رواه النسائي في "السنن الكبرى"، وحسنه الألباني

بل وكان من وصاياه لمعاذ بن جبل رضي الله عنه الدعاء فقال صلى الله عليه وسلم: «يَا مُعَاذُ واللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُم أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ، وحُسنِ عِبَادتِك"[1]،

ولا تظن أن الدعاء سلاح العاجزين، بل هو سلاح العارفين الذين على ربهم يتوكلون،

ولأنهم لكرم ربهم مطمئنين فطلبوا منه ما طلبه منهم وقلوبهم بالإجابة على يقين.

فإن وجدت من نفسك فتورًا، أو استُصعب عليك ترك ذنب، أو ثقلت عليك طاعة، فارفع يديك لترفع حاجتك لمن بيده الأمر، موقنًا بإجابة الطلب، فإنك وإن طلبت عظيمًا فإنه يسير على من يسّره الله عليه.

ONEPIECE

[1] رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح، وصححه الألباني

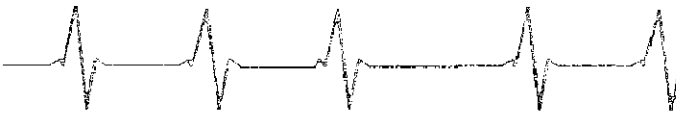

العلم

اطلب العلم، فإن الله تعالى قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾[١]،

وأصحاب الدرجات لا يصيبهم ما يصيب أصحاب الدركات،

لذا فالعلم مأمن بالله من فتن الشبهات والشهوات،

ومَن سلك طريقه يُسَّر له طرق الجنان،

---

[١] المجادلة: ١١

فَعَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رضي الله عنه قَال: سمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ، يقولُ: «منْ سَلَكَ طَريقًا يَبْتَغِي فِيهِ علْمًا سهَّل اللَّه لَه طَريقًا إِلَى الجنةِ» [١]

فبالعلم تعرف صاحب الطريق، وبالعلم تبصر الطريق، وبالعلم تلحظ آفاته، وبالعلم ييسر لك الطريق، فلا تهمل في طلب العلم فإن النبي ﷺ قال: « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلم»[٢].

وقال (الشافعي):

العِلْمُ مَغرَسُ كُلِّ فَخرٍ فَافتَخِر ... وَاحذَر يَفُوتُكَ فَخرُ ذَاكَ المَغرَسِ

فَلَعَلَّ يَومًا حَضَرتَ بِمَجلِسٍ ... كُنتَ الرَّئِيسَ وَفَخرُ ذَاكَ المَجلِسِ

---

[١] عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ». رواهُ أَبو داود والترمذيُّ، وصحَّحه الألباني

[٢] رواه ابن ماجه، وصححه الألباني

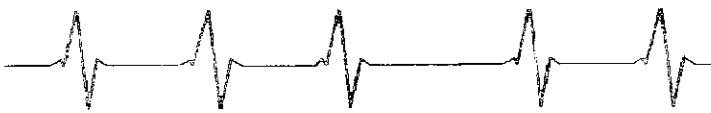

المحاسبة

إياك أن تترك محاسبة نفسك في طريق الله، فإن تاركها لا يدري أيسير أم يقف أم يتقهقر، ولا يعرف إن سقط ما الذي أسقطه، وما هي نقاط ضعفه وقوته، ولا يعرف أين مرض قلبه، ولا يفرق بينه وبين طبعه وصحته، فيعيش بلا حساب حتى يأتي يوم الحساب، فإذا به يقول مع القائلين ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴿٤٩﴾﴾[1].

ولو كان أحصى الأمر لنفسه في الدنيا لما فزع منه في الآخرة، ولعالج ما كان ينبغي أن يُعالَج في حياته،

---

[١] الكهف: ٤٩

فهذا ومثله يأتي يوم القيامة متفاجئًا ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾[1]، فلا تغفل عن نفسك، ولا تترك العمر يجري بغير محاسبة يتبعها إصلاح، فإن مستقبلك الحقيقي في الآخرة أولى ما ينبغي أن تصلحه، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾[2].

وليكن همك في محاسبة نفسك في الطاعات في ثلاثة مواضع:

الأول: الاستعداد للعمل.

والثاني: إقامة العمل والتقصير فيه.

والثالث: تحسين العمل كمًا وكيفًا.

---

[1] الزمر: ٤٧

[2] الحشر: ١٨

وليكن همك في محاسبة نفسك في المخالفات في ثلاثة مواضع أيضا:

الأول: سبب الوقوع في المعصية.

والثاني: قدر المجاهدة قبل فعل المعصية.

والثالث: الأسباب الواقية من العودة إليها.

ولا تنسَ أن تجتهد في التفتيش عن أعظم أسباب فتورك مما ذكرت أو من غيرها، فإنك إن عرفت أسباب فتورك بالمحاسبة تجنبت الوقوع فيها.

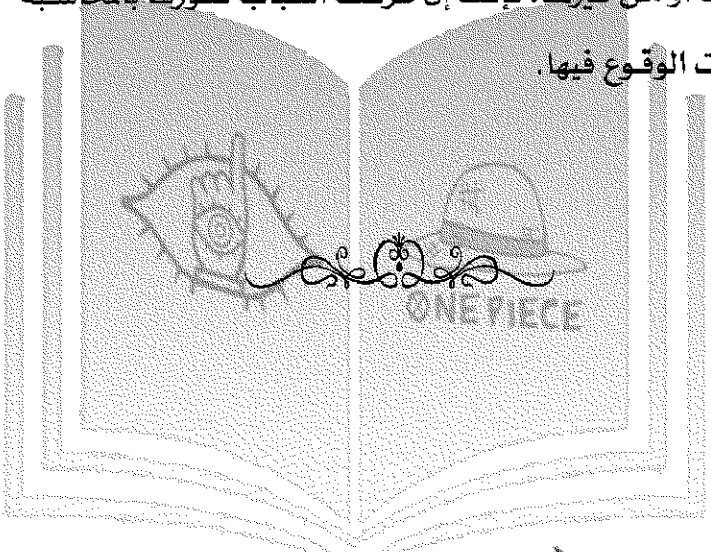

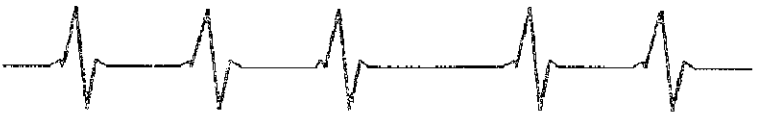

الحال مع الله

وليكن لك قدر من العبادة لا تقل عنه،

فإن من أقبل على الله أقبل الله عليه،

وقد قال النبي ﷺ «يقولُ اللَّهُ تَعالَى: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأنا معهُ إذا ذَكَرَنِي، فإنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وإنْ ذَكَرَنِي في مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ في مَلَإٍ خَيْرٍ منهمْ، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ بشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ ذِراعًا، وإنْ تَقَرَّبَ إلَيَّ ذِراعًا تَقَرَّبْتُ إلَيْهِ باعًا، وإنْ أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[١]

فضع جدولاً في الذكر، والدعاء، والصلاة، وقراءة القرآن، والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصيام التطوع، وترديد الأذان، وإدخال السرور على الناس، والدعوة إلى الله، وتعليم القرآن، وغير ذلك من أصناف العبادات.

---

[١] رواه البخاري، ومسلم باختلاف يسير

الشيخ المُربي

اعلم أن السالك في طريق الله يحتاج لشيخ مربٍّ يرشده وينصحه ويؤدّبه ويعلّمه،

فهو بمثابة الأب الذي يعتني بابنه، وإن له تأثيرًا لا يوازيه تأثير على حياة قلبك وإصلاح نفسك ودوام سيرك، فهو بمثابة النموذج الذي يسعى تلامذته دائمًا للاقتداء به، ولتعلم أهمية ذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾[1].

فالإنسان دائمًا يحتاج للنموذج البشري الذي يؤثر فيه،

[1] فاطر: ٢٤

واحذر من اتخاذ قدوة تُعرف بالهزل واللعب، أو بالتسيب والميوعة، أو بالتشدد والجمود، أو بالجبن والضعف، أو من الشيوخ الموالون للسلطان الظالم، فإنهم يربُّونك لسلطانهم، وإنك إن أخطأت الاختيار فقد كُتب على بنائك الانهيار.

وقد قال عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده:

«ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك، فإنَّ عيونهم معقودة بعينك، فالحَسَنُ عندهم ما استحسنته والقبيح عندهم ما استقبحته»[1].

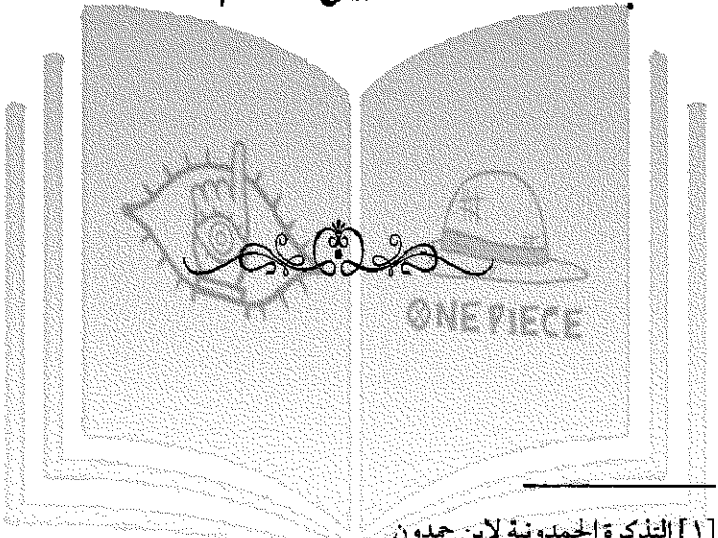

[1] التذكرة الحمدونية لابن حمدون

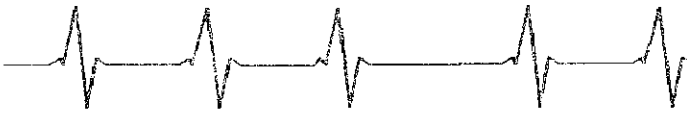

الصحبة الطيبة

لا تتعمد ترك الصحبة في طريق الله والسير وحيدًا إن وجدت مَن تصحبه،

فإن النبي ﷺ قال: «عليكَ بالجماعةِ فإنَّما يأكلُ الذئبُ منَ الغنمِ القاصيةَ»[1]، وإن الوحدة تُمل القلب، وصحبة أهل الخير تؤنسه في الطريق، ولكن كن على حذر في اختيار مَن تصحبه ويصحبك، فإن الناس إذا اختلطوا اختلطت طباعهم، فإن غلب عليهم الصلاح فازوا بما حازوا، وإن غلب عليهم الفساد تشربته قلوبهم بمجرد المصاحبة، وإنَّ تشرُّب طباع الصاحب ليس من فعل العبد الاختياري ولا يمكن اجتنابه؛

[1] رواه الإمام أبو داود وأحمد وغيرهما، وحسنه الألباني

BOOKS

فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[1].

وليكن صاحبك فيه خمس خصال:[2]

١. العقل.

٢. حُسن الخلق.

٣. الصلاح.

٤. عدم الحرص على الدنيا.

٥. الصدق.

[1] رواه البخاري ومسلم

[2] مأخوذ من كتاب «بداية الهداية» للإمام أبي حامد الغزالي ∎

وقد قال علي رضي الله عنه:

فَلا تَصحَب أَخا الجَهل ... وَإِيـــاكَ وَإِيـــاهُ

فَكَم مِن جاهِـلٍ أَردى ... حَليـماً حِـينَ آخـاهُ

يُقـاسُ المَـرءُ بِالمَـرء ... إذا ما المـَـرءُ ماشـاهُ

كَحَذو النَعـلِ بِالنَعـلِ ... إِذا مـا النـَـعلُ حاذاهُ

وَلِلشَـيء مِـنَ الشَـيء ... مَقـاييسٌ وَأَشـبـاهُ

وَلِلقـَـلبِ عَلَى القَـلبِ ... دَلـيـلٌ حِـينَ يَلقاهُ

وأنصحك ألا تجعل الناس جميعًا منك على مسافة واحدة،

بل الحكمة أن تضع كل شيء في مكانه وموضعه،

وقد قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: «**الناس ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه في وقت دون وقت، والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط، ولكن العبد قد يتسلى به، وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع؛ فتجب مداراته إلى الخلاص منه، وفي مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها، وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه؛ فالسعيد من وعظ بغيره، والمؤمن مرآة المؤمن، وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ فقال: ما أدبني أحد، ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته. ولقد صدق على نبينا صلى الله عليه وسلم فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين**»[1].

[1] إحياء علوم الدين للغزالي

النصح للغير

إن دوام تذكير الناس ودعوتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر يحميك من الفتور، والمؤمن لا يعيش ليبني نفسه فقط، بل عليه أن يحمل مهمة أن يبني غيره معه أو على الأقل إرشاد مَن حوله لطرق البناء، ومن بركة الدعوة أنك ما من كلمة تلقيها على قلب أحد إلا وتجد لها شرارة ونورًا يضيء قلبك أيضًا، وما من يد تمدها لأحد لتعينه في أمر آخرته إلا وتجد ألف يد تُمد لك بعدها، كأن الناس يصبون حماسهم في من يدعوهم وهم يحسبون أنه من يصب في قلوبهم الحماس، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[1]، فقم كما قام النبي ﷺ فأنذر الناس وادعهم و ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾[2]، وأبشر بالأجر العظيم، فعَنْ سَهْلِ بن سعدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه: «فوَاللَّهِ لأَنْ يهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لَكَ من حُمْرِ النَّعم»[3].

---

[1] المدثر: ١-٢

[2] يوسف: ١٠٨

[3] رواه البخاري ومسلم

الاستمتاع بالطريق

أبشر وابتسم وافرح إن كنتَ على الطاعة،

فقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾، واعلم أنك لست مجبرًا على ما أنت فيه، فلقد اخترته بنفسك بتوفيق الله تعالى، وكم من مسلم في نفس عمرك عاجز عن نصف ما تقوم به، فافرح فقد اختارك الله، وأحبك، فما أفرحك بعد هذا الخبر، وقد قال النبي ﷺ «إذا أحبَّ اللهُ عَبدًا عسَلَه . قالوا : ما عسَلَه يا رسولَ اللهِ ؟ قال : يُوفِّقُ لهُ عملًا صالحًا بين يدَيْ أجلِه حتَّى يرضَى عنهُ جيرانُه أو قال : مَن حولَه»[1]، وافرح أيضا فإنك على طريق الإيمان فإن لم تكن ذُقت حلاوته فتوشك أن تذوقها قريبًا.

---

[١] رواه المنذري في "الترغيب والترهيب"، وصححه الألباني

وقد قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[١].

وقال إبراهيم بن أدهم:

«لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف»[٢].

وقال ابن تيمية:

«إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة»[٣].

وقال:

«ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري؛ إن رحت فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة!»[٤].

[١] رواه مسلم

[٢] حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني

[٣] الكلم الطيب لابن تيمية

[٤] نقله عنه الحافظ ابن رجب الحنبلي في "ذيل طبقات الحنابلة"

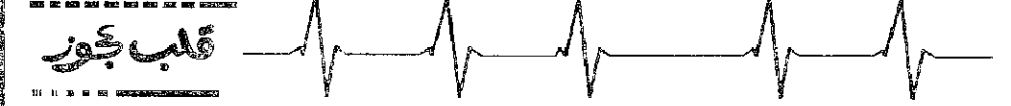

كن منظمًا

اعلم أن العشوائية تؤدي لكثير من الإهدار، وأخوف ما أخاف عليك هدر وقتك وطاقتك،

أما وقتك فلا تجعل يومك يسير بغير خطة وأهداف،

واحذر من مضيِّعات الأوقات، واعلم أن أعظم ما يضيّع يومك هو إهدار الأوقات البينية التي تتخلل المهام في ومواقع التواصل الاجتماعي والدخول عليها بغير حاجة، وترك الهاتف المحمول مفتوحًا بجوارك وأنت تنجز مهامك، وغير ذلك مما تعرفه بالبحث و المحاسبة.

واحذر من هدر طاقتك بالعشوائية، فعليك أن ترتب المهام اليومية، فتوظف أهداف حياتك وأوقات المهام التعبدية والوظيفية والعلمية والأسرية بشكل منظم يسمح لك بتوزيع طاقتك على اليوم والأسبوع، فلا ترهق نفسك في جميع الأيام، ولا تهلك جسدك في أول يومك فتقتل آخره، فإن الجسد إذا تعب توقف العقل عن مهامه، وفتر الجسد أيضًا.

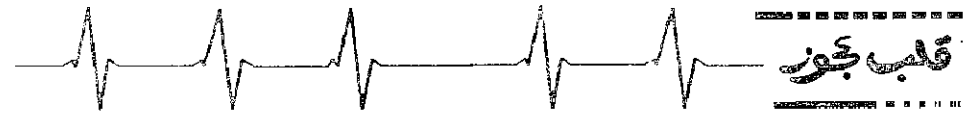

احرص على استغلال مواهبك

مما يعينك على دوام السير وعدم الفتور استثمار مواهبك،

فإن الله خلق كل إنسان له نقاط قوة أو أكثر، لو نظر فيها وأحسن توظيفها وتحسينها لوجد من النتائج ما لا يتوقعه، وعلى العكس فإنه إن تركها وكان له هوى فيما لا يناسبه ولا يلائمه صعب عليه الطريق، وقلّت النتائج، وفتر عن السير، واعلم أن مواهبك إما أن تكون فطرية كحُسن الصوت، أو مكتسَبة بالترويض والتمرين، كقوة الحفظ، فاحرص على معرفة مواهبك وميولك، فإن من شُكر الله أن توظفها في التقرب منه وفي نصرته.

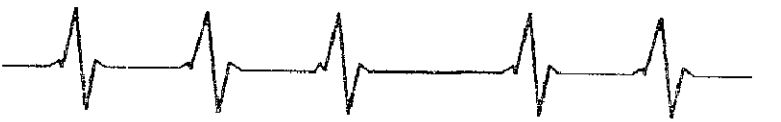

نوّع بين العبادات وقت الفتور

لا تنسَ أن تنوّع بين العبادات قبل الشعور بالملل، حتى تؤخره عن نفسك؛

فإن الموفق خير من العليم

، فاجعل لنفسك كل شهر – مثلاً – عبادة أو اثنتين تكسر بها رتابة سيرك، فإن كنت طالب علم، فاذهب لجمع الزكاة أو توزيعها، وإن كنت مهتمًا بخدمة الفقراء والمحتاجين، فاذهب لحِلَق العلم، وغير ذلك مما يكسر رتابة سيرك.

احفظ سريرتك

إن حفظ السريرة من أهم أسباب البُعد عن الفتور المُهلك، فإنه يبدأ في السر، وينتهي في العلن،

وقد قال ابن الجوزي رحمه الله:

«وقد يُخفي الإنسان ما لا يرضاه الله ﷻ، فيُظهِره الله سبحانه عليه ولو بعد حين، ويُنطِق الألسنة به وإن لم يشاهده الناس، وربما أوقع صاحبه في آفة يفضحه بها بين الخلق، فيكون جوابًا لكل ما أخفى من الذنوب، وذلك ليعلم الناس أن هناك من يُجازي على الزلل»[١].

فعدني الآن أن تتوقف عن ذنبك الذي تعرفه، وجاء في ذهنك..

عدني أن تقطع كل أسبابه..

عدني والله شاهد عليك..

[١] طيب الخاطر لابن الجوزي

تب سريعًا

لا تؤخر توبتك فتتشبث بذنبك أكثر، فإن فتور القلب إن طال ازدادت صعوبة القيام منه واستكمال الطريق، وقلَّ من يقوم، وأقل من يتطهر بعد القيام، وأقل وأقل من يستكمل الطريق إلى النهاية،

وقد مدح الله من تاب سريعًا فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧ ﴾[1].

[1] النساء: ١٧

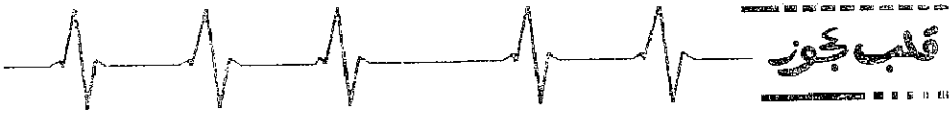

احذر من الوقوع في ذنب جديد

أحيانًا في فترات الفتور والملل يفقد الإنسان عقله وتمييزه، فيسلك طرقًا ما كان سالكها ويرتكب مخالفات ما كان قريبًا من أسبابها،

وللفتور غفلة تجعل صاحبها مثل الريشة في ريح عاصف تأتي به من المشرق إلى المغرب،

ولا يملك لنفسه شيئًا، فإن أصبت في الطريق بالفتور فاحذر أن تستحدث ذنبًا جديدا ولو كان صغيرًا، فإنك لا تفتح على نفسك بابًا إلا أجهدت نفسك في الخروج مثله، والعافية لا يعادلها شيء.

ONE PIECE
BOOKS

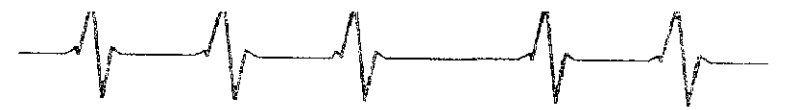

احذر الرجوع للذنب القديم

احذر في فتورك من رجوعك إلى ذنبك القديم، سواء كنت تائبًا منه منذ زمن قريب أو بعيد، فإن استعادته بعد طرده خسارة جولة،

وإشباع القلب برجوعه أمارة ذله.

فكن حذرًا من أسباب قد طمستها وطرق قد سددتها، واستمسك بطاعتك ما استطعت فإنما النصر صبر ساعة، وقد قال ابن القيم رحمه الله: «فتخلُّل الفترات للسالكين أمر لا بد منه، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد، ولم تخرجه من فرض، ولم تدخله في مُحرم، رُجي له أن يعود خيرًا مما كان، مع أن العبادة المحببة إلى الله سبحانه وتعالى هي ما داوم العبد عليه»[1].

---

[1] مدارج السالكين لابن القيم

اجعل للمباح مكانه

إن الله تعالى خلق لنا كل ما في هذه الدنيا كي نعبده، وقد قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[2]، فخذ منها نصيبًا لا يشغلك عن الآخرة، وقد أمرك الله بهذا التوازن فقال: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[3]. قال الحسن في تفسير «نصيبك من الدنيا»: «ما أحلّ الله لك منها، فإن لك فيه غنى وكفاية»[4].

---

[1] البقرة: ٢٩

[2] الذاريات: ٥٦

[3] القصص: ٧٧

[4] ووجه آخر في تفسير الآية عن ابن عباس في قوله (وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) قال: أن تعمل فيها لآخرتك.

فإن وجدت من نفسك فتورًا وملالاً فلا بأس بإشباعها بالمباحات مع الحفاظ على الواجبات، وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «إن لهذه القلوب إقبالًا وإدبارًا فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإذا أدبرت فألزموها الفرائض»[١].

وقال علي بن موسى:

«إن للقلوب إقبالًا وإدبارًا ونشاطًا وفتورًا، فإذا أقبلت أبصرت وفهمت، وإذا انصرفت كلّت وملّت، فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها»[٢].

[١] ربيع الأبرار للزمخشري

[٢] التذكرة الحمدونية لابن حمدون

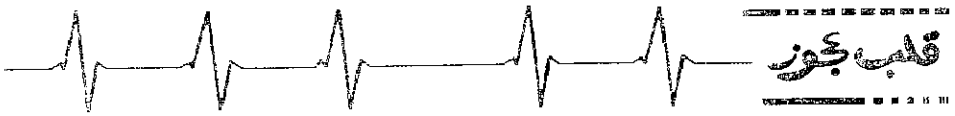

التدرج في الاتجاهين

لا تخالف سنة الله في تدرج زيادة جدك في الطريق فترهق نفسك وجسدك فتنقطع، وأوغل في الدين برفق، وتحلَّ بالحكمة فإن النبي ﷺ قال: (والقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغوا)[١]، ولا تنسَ أن تتدرج أيضًا في فتورك فتقاوم نفسك وقت ضعفها فلا تُسقط كل ما بنيته في طريقك في لحظة واحدة، ولا توقف كل ما التزمته فجأة، بل قاوم ما استطعت، فلعلك ترجع من وسط الطريق، ولا تصل لآخر المنحدر.

وليكن لك خط أحمر لا تتعداه، ولو تقطعت نفسك، فترك الفرائض وفعل الكبائر وعودة الإصرار على مخالفة تبت منها منذ زمن أمور لا تحتمل التراجع، وقد قال النبي ﷺ «إذا نَهَيْتُكم عَن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمرٍ فأتوا منه ما استطعتم»[٢].

---

[١] رواه البخاري

[٢] رواه البخاري ومسلم

لا تطل الوقفة

إن طالت بك العثرة، وزاد زمن الفترة، فضاعف جهدك، واجمع بين أكثر الأسباب إن لم يكن جميعها، ولا تستسلم فتعتاد البطالة، وتألف البعد، وتُصاب بالعجز.

احذر أحلام اليقظة

لا تجعل وقت فترتك وقتًا لبناء الأوهام في أحلامك، فإنها أخس من أن تسمح لها بتضييع أيامك، وقد قال الحسن البصري رحمه الله: "إنما أنت أيام مجموعة، كلما مضى يوم مضى بعضك»، واستفق منها سريعًا، وابدأ في بناء واقعك الملموس فإنه وإن كان أجهد لك إلا أنه أبقى، أما أحلام اليقظة فإن كانت أمتع إلا أنها في النهاية حسراتٌ لا تنقطع".

وقد وصف ابن القيم حال صاحب هذه الأحلام، فأبدع في توصيفه، فاقرأ كلامه، واعتبر، واختر لنفسك منزلاً.

قال ابن القيم رحمه الله (وأخسُّ الناس همّة وأوضعهم نفسًا من رضي من الحقائق بالأماني الكاذبة، واستجلبها لنفسه، وتحلّى بها، وهي -لعمر الله- رؤوس أموال المفلسين، ومتاجر البطّالين. وهي قوت النفس الفارغة التي قد قنعت من الوصل بزَورة الخيال، ومن الحقائق بكواذب الآمال، كما قال الشاعر:

مُنًى إنْ تكن حقًّا تكن أحسن المُنَى وإلا فقد عِشْنا بها زمنًا رَغْدَا

وهي أضرُّ شيء على الإنسان، وتتولّد من العجز والكسل، وتولّد التفريط والحسرة والندم. والمتمنّي لمّا فاته مباشرةُ الحقيقة بحسّه نحَتَ صورتَها في قلبه، وعانقها، وضمّها إليه، فقنع بوصال صورةٍ وهميةٍ خياليةٍ صوّرها فكرُه، وذلك لا يُجدي عليه شيئًا، وإنما مثله مثل الجائع والظمآن يصوّر في وهمه صورةَ الطعام والشراب، وهو يأكل ويشرب.

والسكون إلى ذلك واستحلاؤه يدلّ على خساسة النفس ووضاعتها، وإنّما شرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوّها بأن ينفي عنها كلّ خطرة لا حقيقة لها، ولا يرضى أن يخطرها بباله، ويأنف لنفسه منها)[1].

[1] الداء والدواء لابن القيم

إطار العمل

من المفيد أن تجعل للأعمال في حياتك إطارًا،

فيكون له نقطة بداية ونقطة نهاية،

وقد يكون الإطار **زمنيًا** كأن تُلزم نفسك بشيء في مدة زمنية معينة فتبدأ يوم كذا وتنتهي يوم كذا،

وقد يكون الإطار **محددًا بالأهداف** فتبدأ في عمل ولا تنتهي منه إلا بإنجازه،

وقد يكون **بكليهما**، وهذا هو الأغلب، فتبدأ بعمل له أهداف محددة وإطار زمني معين، وهذه الطريقة تُشعرك بأن المشروع له نهاية، فلا تستطل زمن العمل فيه من البداية، وأيضًا يُشعرك بالإنجاز بعد إتمامه مما يحمِّسك على إنجازات أخرى.

لا تلتفت

آخر ما أوصيك به ألا تحوّل عينيك عن قصرك في جنة الرحمن، ولا تلتفت عن صراط الله المستقيم،

فإن من نسي هدفه تعب جسده،

واقرأ ما قاله الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره فقد قال معلقا على قول الله تعالى ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾ قال «إن الشوق المتعلق بالوصول إلى ذلك المكان سهّل لهما الطريق، فلما تجاوزا غايتهما وجدا مسّ التعب»، فالإنسان حين يشتاق لهدفه يسهل عليه التعب له، فإذا ذهب شوقه، وفتر ذكر غايته وهدفه تعب وضعف وملّ؛ لذا

قال الله تعالى عن آدم عليه السلام ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾[1].

---

[1] طه: ١١٥

ONEPIECE
BOOKS

فلا تنسَ يومًا تدخل فيه جنة الخلد تستقبلك الملائكة بالسلام، وتسكن قصرًا لِبناته من ذهب وفضة، وكيف تنسى وقد قال الله تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[1].

وفي النهاية، اعلم أنك إنسان، وأن بك صفات النقص، وأنك ستتعرض للفتور ولابد، ولكن لا تيأس من حصول طلبك بالاستقامة، ولا تمل من تكرار الأخذ بالأسباب وتجرع الدواء، واعلم أن الأمر أعظم من أن تضيعه، وأن العمر أسرع من أن تدركه، وأن الصبر الذي ستتحمله لن يطول ولكنه لازم؛ لذا نادى الله قائلا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[2]، وليطمئن قلبك، فإن أجر الصبر مجزي فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[3].

---

[1] الزمر: ٧٣- ٧٤

[2] آل عمران: ٢٠٠

[3] الزمر: ١٠

وإني ناصح لك فاسمع نصيحتي جيدًا..

أنت اليوم تُمسك بكتابي تتعلم منه شيئًا تعمل به،

وغدًا تمسك بكتابك فتقرأ منه ما عملته،

فابذل، واجتهد، أسأل الله التوفيق والسداد، وتجاوز فتورك بما أرشدك فإن الأمر لن يطول،

ولي معك لقاء إن شاء الله ولعله يكون في جنة الخلد،

فاثبت حتى ألقاك بإذن الله هناك،

وهنا انتهت الرحلة يا أمير فانزل من القطار، وابدأ رحلة أخرى ولن تكون صاحب قلب عجوز بإذن الله.

هذا وما كان من توفيق فمن الله تعالى، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وأسأل الله أن يجعل هذه الرسالة مباركة ونافعة وأن يجعلها في ميزان حسناتي ووالدي ومشايخي وأهل بيتي، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

كتبه محمد الغليظ ٢٣ جمادى الأول ١٤٤١